الجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية

رسالة تتضمن: حكم السفر إلى بلاد الكفار
مع توضيح معنى إظهار الدين

تأليف
الشيخ العلامة سليمان بن سحمان
رحمه الله (ت ١٣٤٩هـ)

اعتنى بها
سليمان بن صالح الخراشي

دار الصميعي للنشر والتوزيع

الجيوش الربانية

في كشف الشبه العمرية

الجيوش الربانية
في كشف الشُبه العمْرية

تأليف

الشيخ العلامة سليمان بن سحمان - رحمه الله - (ت ١٣٤٩هـ)

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

(رسالة تتضمن : حكم السفر إلى بلاد الكفار مع توضيح معنى
إظهار الدين)

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
سحمان، سليمان
الجيوش الربانية / سليمان سحمان، سليمان بن صالح الخراشي
الرياض ١٤٣٠هـ
١٣٦ص ١٧× ٢٤سم
ردمك: ٢-٩٠-٨٦٩-٩٩٦٠-٩٧٨
١ - السفر فقه إسلامي ٢ - الهجرة ٣- الفتاوى الشرعية
أ- الخراشي، سليمان بن صالح (محقق) ب. العنوان
ديوي ٢٥٦.٩ ١٤٣٠/٦٨٣

رقم الإيداع: ٦٨٣/ ١٤٣٠
ردمك: ٢-٩٠-٨٦٩-٩٩٦٠-٩٧٨

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

دار الصميعي للنشر والتوزيع / المملكة العربية السعودية
الرياض ص. ب: ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المركز الرئيسي: الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩، فاكس: ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة - أمام الجامع الكبير
هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس: ٣٦٢١٧٢٨
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية / جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
البريد الالكتروني: **daralsomaie@hotmail.com**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد ربي حمد الشاكرين، على نعمه الجزيلة التي لا تُعد ولا تحصى، وأصلي وأسلم على نبيي محمد بن عبد الله، أفضل الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين..

وبعد؛ فهذه رسالة تُطبع لأول مرة، للعالم الجليل الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ، أحد فرسان الدعوة السلفية؛ الذين استعملهم الله في الذود عنها، وتجلية حقيقتها، وتوسيع محيطها، يرد فيها على أحد المناوئين المتربصين بها الدوائر، ممن قلَّبوا لها الأمور، وحاولوا التشعيب عليها، والكيد ضدها عند الحكام، وقد كانت بينه وبين الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ جولات وصولات ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ.

ومسائل هذه الرسالة ـ وكذا ردود الشيخ ابن سحمان الأخرى على المناوئ ابن عمرو ـ تتعلق بمسألة حكم السفر إلى بلاد المشركين، أو الإقامة بينهم، ومسألة إظهار الدين التي تلزم المسافر المحتاج للسفر.[1]

---

(١) ولأهمية هذه المسائل، قال صاحب رسالة «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة»

=

فهذه المسائل قد كثر فيها الأخذ والرد بين أئمة الدعوة وخصومها، وتلبست بها تقولات ومزايدات، مع ظنون كاذبة، وسوء فهم.

وهي من المسائل العقدية المهمة التي أشبعها أئمة الدعوة السلفية بحثاً وكتابة؛ لأنهم قد عايشوها واقعاً منذ قيام الدولة السعودية الأولى، التي حكَّمت شرع الله، وأمرت بالمعروف، ونهت عن المنكر؛ فانحاز إليها أهل الإيمان، ثم انطلقوا منها إلى الآفاق دعاة ومجاهدين، وقد جهروا برأيهم في هذه المسائل المهمة وفق ما جاء في نصوص الكتاب والسنة، ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ، إلا أن المناوئين خلطوا الأمور، وحاولوا التشعيب والتلبيس، للتشنيع على أهل الحق؛ ولكن الله ـ عز وجل ـ قد ردهم بخيبتهم لم ينالوا خيراً، فتجلى الحق وأينع طلعهُ بهذا التفصيل الشرعي العادل:

١ – عدم جواز السفر إلى بلاد المشركين، أو الإقامة بين أظهرهم، إلا لمن يتمكن من «إظهار» دينه بينهم، وكان سفره أو إقامته لحاجة شرعية. أما من لا يتمكن من «إظهار» دينه فتلزمه «الهجرة» الشرعية إلى بلاد المسلمين

الأستاذ محمد الفوزان (ص١٣٧): «أود أن يتقدم أحد طلاب الدراسات العليا بقسم العقيدة ببحث لموضوع السفر إلى بلاد المشركين، وموقف أئمة الدعوة منه».

أو إلى بلاد يتمكن فيها من إظهار دينه.[١]

٢- من سافر إليهم من المسلمين، أو أقام بينهم دون إظهار لدينه فقد ارتكب إثماً مبيناً، ووقع في محرم عظيم؛ حذرت منه النصوص الشرعية ـ كما سيأتي ـ أشد تحذير، ولكنه لا يكفر بهذا الفعل وحده.

٣- إظهار الدين يكون بإقامة شعائره الظاهرة؛ مع التمايز عن أهل الكفر، وتصريح المسلم بمخالفتهم. وأعلى من هذا وأتقى عند الله: دعوتهم إلى دين الإسلام.[٢]

ومسألة السفر إلى بلاد الكفر أو الإقامة بينهم؛ تدخل في الإسلام ضمن مبدأ الولاء والبراء ، وهو من المبادئ التي أصّلها الإسلام في نفوس أبنائه ؛ عبر آيات وأحاديث صريحة ؛ لحكمة إبعادهم عن الذوبان أو الامتزاج الضار بأهل الكفر والضلال ؛ مما يؤثر على دينهم وأخلاقهم وعزتهم[٣].

(١) فتكون الهجرة حينئذٍ: واجبة في حق من يقدر عليها، وتسقط عمن يعجز عنها؛ إما لمرض أو ضعف أو إكراه؛ لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٨ – ٩٩].

(٢) وسيأتي توضيح هذا ـ إن شاء الله ـ.

(٣) يُنظر لبيان أهمية«الولاء والبراء » ، وتفاصيل مسائله : رسالة الشيخ محماس الجلعود «الموالاة

=

يقول الدكتور طه العلواني[1] في مقدمته لكتاب «النهي عن الاستعانة والاستنصار في أمور المسلمين بأهل الذمة والكفار»[2] : «أما الحاجز النفسي؛ فإن الإسلام قد حققه بعدة أمور؛ منها:

أ- الإحساس بالاستعلاء والشعور بالعزة بـ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] وفي الحديث: «..**الإسلام يعلو ولا يعلى**».[3]

ب- الإحساس بكراهية الكفر وأهله، وازدراء ما هم عليه والاستهانة به: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ

والمعاداة»، ورسالة الدكتور محمد بن سعيد القحطاني «الولاء والبراء».

(١) وهو أحد رموز التيار العصراني في العالم الإسلامي؛ إلا أنه اعترف بأهمية هذا المبدأ الأصيل في الحفاظ على هوية المسلمين.

(٢) الصفحات: (٩-١٩-٤٧-٥٥-٥٨).

(٣) أخرجه الدارقطني (٣/ ٢٥٢)، وعلقه البخاري. (انظر: التلخيص الحبير، لابن حجر، ط: أضواء السلف: ٦/ ٢٩٧٠)

﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢]، ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٢ – ٢٣] . وإذا خيف من تأثر البعض بمظاهر علم لديهم أو تقدم حسي عندهم فذلك لأنهم : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]، ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥٥] .

ج- المنع من محبة الكافرين : ومن تلك الأمور التي تحقق «الحاجز النفسي» بين المسلمين وأعدائهم: منع المسلمين من موادة الكافرين أو توليهم، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

د- النهي عن موالاة الكافرين : ومنها النهي عن موالاتهم ؛ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ

جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الممتحنة: ١ - ٢] » .

إلى أن قال : « وإن أول الوهن الذي أصيب به المسلمون هو وقوعهم في أزمة التردد في هذا الأمر، هذا التردد الذي جرهم بدوره إلى الخلط بين التسامح الذي أمروا به مع أهل ذمتهم الذين هم تحت سلطانهم، والذين هم في فقر إلى رعايتهم، والوفاء بالعهود لمن عاهدوا منهم، وبين التساهل مع أعداء الله وأعدائهم من المحاربين لله ولرسوله فكثيراً ما وضعوا التساهل والتهاون موضع الحزم والصلابة، وهل أضاعهم اليوم غير هذا ؟

إن المسلمين اليوم أحوج ما يكونون إلى العمل على إعادة بناء هذا «الحاجز النفسي» بينهم وبين أعدائهم ليبقوا على ما قد يكون بقي لهم من عرى الإسلام، ويَرِمُّوا ما قد رث منها وبلي ؛ فإن الكفار ما استطاعوا النيل من هذه الأمة إلا بعد أن تمكنوا من هدم«الحاجز النفسي» بينهم وبين المسلمين بوسائل متعددة، وخطط مختلفة، وجهود متصلة بدأت منذ أن انتصر الإسلام وقامت دولته، ويئس الكفار من تدميرها، أو النيل منها » .

إلى أن قال - بعد أن بين الضعف الذي حلّ بالدولة العثمانية في نهاية

عهدها بسبب إضعاف أصل الولاء والبراء واستبداله بشعارات مضللة ؛ كالتسامح والحوار مع الآخر .. الخ ! - :

« لقد كان المقصود بشعار «التسامح» هدم حاجز الحذر من الاتصال بالأجنبي، والتحفظ منه، تمهيداً للانفتاح عليه، والتعاون معه، ولم تكن تهمة التعصب تنتفي عن مسلم، وما كان أحد –من المسلمين- ينال شرف الاتصاف »بالتسامح« إلا إذا تهاون في أمور دينه، وفترت علاقته بإخوانه المسلمين، وقويت مع أعداء الله، وارتضى الانضمام إلى تلك الجمعيات العميلة، والأحزاب الدخيلة، أو تعاون معها، أو سهل للقائمين عليها –من الدخلاء- مهماتهم، أو سكت عن جرائمهم، وأهدافهم الخبيثة، وإلا فهو رجعي متعصب، وسلفي متزمت، ولم يسلم من الاتصاف «بالتزمت» و«الرجعية والانغلاق» مسلم يعتبر التعاون مع الأجنبي ضد مصلحة الأمة الإسلامية«خيانة عظمى» لله ولرسوله وللمؤمنين يستحق فاعلها الخزي والعار في الدنيا، والعذاب والنار في الآخرة، فنشأ نتيجة لذلك شعور بالرهبة والخوف لدى الكثيرين من التصدي لهذه المؤامرات والمحاولات التخريبية، وبذلك انفتحت الأبواب أمام إنشاء الجمعيات العميلة المخربة وتأسيسها » .

إلى أن قال - بعد أن تحدث عن نشوء الجمعيات القومية التي هدمت هذا الأصل - : « إن سقوط «الحاجز النفسي» بين المسلمين وأعداء الإسلام

هو الذي حول فلسطين من أرض إسلامية، وقبلة أولى للمسلمين إلى وطن قومي لليهود ، وجعل من جبال لبنان الأشم «وطنا قومياً» للنصارى ، وجعل عاصمتي الخلافتين الأموية والعباسية أهم قاعدتين للنفوذ النصراني في المنطقة، منهما ينتشر الفكر الإلحادي، والكفر البواح بكل أشكاله ، وبجهود حكامهما يكسب الكفر ما يريد» . انتهى كلام الدكتور طه العلواني.

من أقوال العلماء في المسائل السابقة

لقد أولى علماء الدعوة السلفية الإصلاحية التي قادها الإمام المُجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ ، مسائل «الولاء والبراء» ، و«حكم السفر إلى بلاد الكفار» ، وما يتعلق بهما من جزئيات – عناية كبيرة ؛ نظرًا لأهمية هذه المسائل ومكانتها في عقيدة الإسلام ، ونظرًا لأنهم – بسبب ظروف عصرهم – احتاجوا إلى بحثها ، وتوسيع القول فيها ؛ نُصحًا للمسلمين ، ونشرًا للعلم الصحيح ، القائم على الأدلة الشرعية ؛ فأجادوا وأفادوا – رحمهم الله – .

ولا زال خلَفهم من كبار العلماء يسيرون إثرهم .

وإليك – أخي القارئ – نُتفة من أقوالهم في المسائل السابقة ، تُمهد لرسالة الشيخ ابن سحمان – رحمه الله – :

سئل الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ ـ رحمه الله ـ:

المسالة الأولى: هل يجوز للمسلم أن يُسافر إلى بلد الكفار لأجل التجارة أم لا؟

الجواب: الحمد لله. إنْ كان يقدر على إظهار دينه ولا يوالي المشركين، جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصَّحابة ـ كأبي بكر [1] وغيره من الصحابة ـ إلى بلدان المشركين لأجل التجارة.

ولم يُنكر ذلك النبي ﷺ. كما رواه أحمد في مسنده[١] وغيره.

وإن كان لا يقدر على إظهار دينه ولا على عدم موالاتهم، لم يجز له السفر إلى ديارهم كما نصّ على ذلك العُلماء. وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك.

ولأنَّ الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين. فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك، لم يجز.

وأيضاً فقد يجره ذلك إلى موافقتهم. وإرضائهم، كما هو الواقع كثيراً ممّن يسافر إلى بلدان المشركين من فسَّاق المسلمين.

المسألة الثانية: هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلد الكفار وشعائر الشرك ظاهرة لأجل التجارة أم لا؟

الجوابُ عن هذه المسألة: هو الجواب عن التي قبلها سواء. ولا فرق في ذلك بين دار الحرب ودار الصُّلح. فكل بلدٍ لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها، لا يجوز له السفر إليها».[٢]

---

(١) (٦/ ٣١٦).

(٢) مجموع الرسائل، (ص١٦٥-١٦٨).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ـ رحمهم الله ـ رداً على من لام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ على عدم تجويز السفر لبلاد المشركين:

«للسلف كلام معروف في السفر إلى ما ظهر فيه شيء من شعائر الكفر والفسوق لمن لم يقدر على إظهار دينه».[١]

وقال الشيخ إسحق بن عبد الرحمن ـ رحمهما الله ـ:

وأما المسألة الثالثة: « فهي مسألة السفر إلى أوطانهم، ففرع عمَّا تقدم، فمن حرم الإقامة بين أظهرهم إلا بشروطها حرم السفر، ولكن ليس كمن أقام بين ظهراني المشركين يشهد ما هم عليه من الكفر الجلي البواح، والحكم بالقوانين، ورد الأحكام الشرعية، وغير ذلك مما لا يحصى، بل لكل درجات مما عملوا، فذنب المسافرين أخف من ذنب المقيمين، وذنب المقيمين فقط أخف من ذنب من تولاهم بالمحبة والنصرة والطاعة، مما هو بنص القرآن مناف للإيمان».[٢]

وقال الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله في جواب سؤال ورد إليه ـ عن

---

(١) مصباح الظلام، (ص٥٥).

(٢) الأجوبة السمعيات ...، (ص٩٨).

الإقامة في بلاد الكفار ـ كما في الدرر السنية [(١)]:

«وما ذكرتَ من حال من يكون بين ظهراني المشركين، فإن كان يقدر على إظهار التوحيد بحيث يُظهر لهم القول بأن هذه الأمور الشركية التي تُفعل عند القبور وغيرها، باطل وضلالة، وأنا بريء منه وممن يفعله، فمثل هذا لا تجب عليه الهجرة، وإن كان لا يقدر على إظهار ذلك، مع اعتقاد بطلانه، وأنه الشرك العظيم، فهذا ترك واجباً عليه».

وقال الشيخ إسحق بن عبدالرحمن ـ رحمهما الله ـ أيضاً:[(٢)] «قد دل الكتاب والسنة والإجماع، مع صريح العقل ، وأصل الوضع، على وجوب الهجرة من دار الشرك والمعاصي، وتحريم الإقامة فيها:

أما الكتاب: فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ

---

(١) (٨/ ٢٩٥).

(٢) الأجوبة السمعيات ...، (٧٣-٨٢)، بتحقيق الأخ عادل المرشدي ـ وفقه الله ـ، والهوامش منه (بتصرف يسير).

وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٨].

وهذه الآية نص في وجوب الهجرة، بإجماع المفسرين؛ وفيها ترتب الوعيد على مجرد المقام مع المشرك؛ والقرآن إذ أناط الحكم بعلة أو وصف، فصرفه عنه من التأويل الذي رده السلف؛ وقد ذم الله من أعرض عنه، فكيف بمن عارضه؟

وقد قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال أبوجعفر ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ: « يقول الله تعالى للمؤمنين من عباده: يا عبادي الذين وحدوني وآمنوا برسولي إن أرضي واسعة، لم تضق عليكم، فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المقام فيه، ولكن إذا عُمل بمكان منها بمعاصي الله، فلم تقدروا على تغييره، فاهربوا منه» [(١)].

وساق بسنده عن سعيد بن جبير، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، **قال:** «إذا عمل فيها بالمعاصي، فاخرج منها» [(٢)].

---

(١) جامع التأويل (١٨/ ٤٣٥).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٣٥)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٧)، (٩/ ٣٠٧٥)، =

وساق من طريق وكيع عن سعيد بن جبير مثله أيضاً؛[١] وعن عطاء: «إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا» [٢]؛وعنه: «مجانبة أهل المعاصي».[٣]

وعن مجاهد في قوله: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾[العنكبوت: ٥٦]، **قال:** «فهاجروا وجاهدوا»،[٤] **وذكر عن آخرين:** «إن ما خرج من أرضي من الرزق واسع لكم»؛ [٥] ورجح الأول.

وقال محيي السنة البغوي ـ رحمه الله ـ في تفسيره: «وهذه الآية نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة، وقالوا: نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة».

وهو صحيح عنه.

(١) أخرجه ابن جرير (١٨/ ٤٣٥) وإسناده ضعيف، والقاعدة في الآثار هي ترك التشديد في يسير الضعف منها.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٨/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٥) وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٨/ ٤٣٤)، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٨/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٦) وإسناده صحيح.

(٥) القائل هو: مطرف بن عبدالله الشخير كما عند ابن جرير في تفسيره (١٨/ ٤٣٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٦) وإسناده صحيح.

وساق كلام سعيد بن جبير وغيره، ثم قال: «ويجب على كل من كان ببلد يُعمل فيها بالمعاصي، ولا يمكنه تغييرها الهجرة إلى حيث تتهيأ له العبادة». انتهى.[(١)]

فسمَّى تغيير المعاصي عبادة، يجب على المسلم الهجرة إذا لم تتهيأ له، وأَطْلَقَ العبادة عليها من إطلاق الشيء وإرادة معظمه، والمعصية إذا أطلقت وأفردت لا في مقابلة ما هو أعلى فهي عامة كما قرره شيخ الإسلام في «كتاب الإيمان»[(٢)] وقرره غيره.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء: ١٠٠]، ومعنى الآية: أن المهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مكاناً يسكن فيه، على رغم أنف قومه الذي هاجرهم، ويجد سعة في البلاد؛ وقيل: في الرزق؛ وقيل: في إظهار الدين؛ أو في تبديل الخوف بالأمن؛ أو من الضلال إلى الهدى؛ فهذا تفسير التابعين ومن بعدهم، وهو الذي فهم علماء التفسير.

فمن قلَّب الحقائق، وجعلها نصاً في عدم وجوب الهجرة على من لم يمنع من عبادة ربه، التي هي في زعمه الصلاة، وما يتعلق بالبدن، وحمل

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ٤٧٩-٤٨٠).

(٢) انظر: كتاب «الإيمان»، (ص٥١).

إظهار الدين على ذلك، وفهم من قوله تعالى: ﴿فَإِيَّىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، أي: في كل مكان من دار إسلام أو كفر، فقد عكس القضية وأخطأ في فهمه.

والحق: أن الحكم فيها منوط بمجرد المقام مع المشركين ومشاهدة المحرمات، قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره على قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦]: «وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم، في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم، فحينئذ هربوا إلى الكهف»، [١] وقال في تفسير آية النساء، لما ذكر أقوال السلف في سبب نزولها: «فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ﴾ [النساء: ٩٧] أي: بترك الهجرة ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡ﴾ أي: لم مكثتم ها هنا، وتركتم الهجرة؟ ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ انتهى.[٢]

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٩).

وقال الحنفي في تفسيره: «وأمر الهجرة حتم، ولا توسعة في تركها، حتى إن من تبين اضطراره ـ يعني من هو مستضعف ـ حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني، فكيف بغيره» انتهى ملخصاً.[١]

وأما نصوص السنة، فكثيرة جداً، منها: ما رواه أبو داود والحاكم عن سمرة مرفوعاً: «**من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله**»[٢] ولفظ الحاكم: «**وساكنهم أو جامعهم فليس منا**»[٣] وقال: صحيح على شرط البخاري.[٤]

ومنها ما رواه أبو داود والنسائي والترمذي عن جرير بن عبدالله مرفوعاً: «**أنا بريء من مسلم يقيم بين ظهراني المشركين، لا تراءى ناراهما**» رواه ابن ماجه أيضاً، ورجال إسناده ثقات.[٥]

ومنها: حديث جرير، الذي رواه النسائي وغيره: «**أنه بايع النبي ﷺ** أن

---

(١) لم أجده فيما وقفت عليه من التفاسير المطبوعة، ولعله في تفسير أبي علي الطبري، إذ ينقل عنه أئمة الدعوة كثيراً، وهو مفقود؛ كما أفاده الشيخ عبدالله الشمراني ـ وفقه الله ـ.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٨٧).

(٣) المستدرك (٢/ ١٤١-١٤٢).

(٤) المستدرك (٢/ ١٤٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، وسيأتي الحديث عنه في رسالة الشيخ ابن سحمان ـ إن شاء الله ـ.

يعبد الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويفارق المشركين»، [١] وفي لفظ: **«وعلى فراق المشركين»،** [٢] ولو لم يكن إلا هذا الحديث لكفى، لتأخير إسلام جرير.

ومنها: ما روى الطبراني والبيهقي، عن جرير مرفوعاً: **«من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة».** [٣]

قال المناوي: «حديث حسن، يقصر عن رتبة الصحيح، وصححه بعضهم».

ومنها: ما رواه النسائي وغيره، من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً: **«لا يقبل الله من مشرك عملاً بعد ما أسلم أو يفارق المشركين».** [٤]

ومنها: ما رواه النسائي وغيره عن ابن السعدي ﷺ مرفوعاً: **«لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»،** [٥] وفي معناه حديث معاوية: **«لا تنقطع**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤) والنسائي (٤١٧٧)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه النسائي (٤١٧٥).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٢٦١)، والبيهقي (٩٣٧٣)، وأصله هو حديث جرير المتقدم.

(٤) أخرجه النسائي (٢٥٦٨)، وابن ماجه (٢٥٣٦)، وإسناده حسن.

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٠)، والنسائي (٤١٧٢)، واللفظ له وهو صحيح، ونقل الحافظ ابن حجر

=

ومنها: ما رواه النسائي وغيره عن ابن السعدي رضي الله عنه مرفوعاً: «**لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار**»،[١] وفي معناه حديث معاوية: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة**»[٢] الحديث.

وما رواه سعيد بن منصور وغيره: «**لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد**».[٣]

ففي هذه الأحاديث مع تباين مخارجها، واختلاف طرقها، هيئة اجتماعية يقطع معها بهذا الحكم العظيم، الذي هو من أعظم مصالح الشريعة.

وأما الإجماع على تحريم الإقامة بين ظهراني المشركين، فحكاه الحافظ ابن كثير، ولم ينازعه في ذلك أحد فيما نعلم، **وقال ابن هبيرة في الإفصاح**: «واتفقوا ـ يعني: الأربعة ـ على وجوب الهجرة من ديار الكفار إن قدر على ذلك»».[٤]

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٠)، والنسائي (٤١٧٢)، واللفظ له وهو صحيح، ونقل الحافظ ابن حجر عن أبي زرعة الدمشقي أنه قال: «هذا الحديث عن عبدالله ابن السعدي حديث صحيح متقن». انظر: الإصابة (٤/ ٩٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٩٩)، وأبو داود (٢٤٧٩) وهو صحيح.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في السنن (٢٣٥٤)، وأحمد (٥/ ٣٧٥)، وإسناده صحيح.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح (٩/ ١٦٢).

فالجواب ـ وبالله التوفيق ـ أن إظهار الدين على الوجه المطلوب شرعاً، تُباح به الإقامة بقيد أمن الفتنة، ولا تعارض نصوص الهجرة المنوطة بمجرد المساكنة، إذ هي الأصل، وإبطال دليل الإباحة دليلَ التحريم ممتنع قطعاً، فيتعين الجمع بما تقرر في الأصول من أن العام يُبنى على الخاص ولا يعارضه ـ إلى أن قال ـ :

إذا تقرر ذلك، فالكلام على إظهار الدين الذي هو مقصود السؤال، والذي قد وقع فيه الإشكال، في مقامين:

الأول: وهو أعلاهما، الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد تقدَّم بعض التنبيه عليه فيما نقله ابن جرير وغيره من السلف، ويأتيك له مزيد بسط في كلام الحنابلة والشافعية وغيرهم، وإليه يومئ كلام الماوردي ـ رحمه الله ـ .

الثاني: الامتياز عن عبّاد الأوثان والأصنام، وتصريح المسلم بما هو عليه من دين الإسلام، والبعد عن الشرك ووسائله، وهو دون الأول، فأصغ سمعك لبرهان هذين المقامين، لعلَّ الله أن ينفعك به.

واعلم أن الدين كلمة جامعة لخصال الخير، وأعلاها التوحيد كما تقدَّم، وهو على القلب بالاعتقاد والصدق والمحبّة، وعلى اللسان بتقريره وتحقيقه

والدعوة إليه واللهجة به، وعلى الجوارح بالعمل بمقتضاه، والسعي في وسائله، والبعد عن مضادّه.

قال الوالد ـ رحمه الله ـ في رسالته لأهل الإحساء: «فإن الإنسان لا يصح له إسلام ولا إيمان إلا بمعرفة هذا التوحيد، وقبوله، ومحبته، والدعوة إليه، وتطلّب أدلته واستحضارها ذهناً وقولاً وطلباً ورغبة»، انتهى بحروفه.

وقد أوضح ذلك القرآن أيَّ إيضاح، وضمن لمن قام به ودعا إليه، وصبر عليه السعادة والفلاح، **قال تعالى:** ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يونس: ١٠٥]، **وقال تعالى:** ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣]، **فقوله تعالى:** ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ ﴾ أمر عام، وقد اقتبسه **العماد ابن كثير** فيما تقدم **في قوله:** «وليس متمكناً من إقامة الدين».

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١ - ٣]، فأقسم سبحانه بالعصر وهو الزمن أو الوقت على خسران جميع هذا النوع الإنساني، إلا من استثنى، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا

بالحق، بأن دعوا إليه وصبروا على الأذى فيه، وهذا أصل الأصول، وهو طريق الرسول ﷺ؛ والصلاة وسائر العبادات فرعه.

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

ففي هذه الآية أعظم دلالة على أعلى مقامات إظهار الدين، لأن الله بين هذا الحكم العميم، وأكد هذا المشهد العظيم، الذي هو مشهد الأسوة بالأنبياء والرسل، معبراً بصيغة الماضي، و «بقد» التحقيقية الدالة على لزوبه، ولزومه على البرية، ووصفه بالحسن، وضد الحسن القبيح؛ وأزال دعوى الخصوصية، بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ ترغيباً في معية أوليائه، ثم صرح بأنها هي القول باللسان، مع العداوة والبغضاء **خلافاً لمن قال**: «أبغضهم بقلبي»، وتبرأ من العابد والمعبود جميعاً، وقدم البراءة من العابد، تنويهاً بشناعة فعله، ثم أعادها بلفظ آخر أعم من البراءة، وهو قوله: ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ أي: جحدناكم، وأنكرنا ما أنتم عليه، وكشف الشبهة بقوله: ﴿ وَبَدَا ﴾.

ومعنى: (بدا) ظهر، وقرن بين العداوة والبغضاء إشارةً إلى المباعدة

والمفارقة بالباطن والظاهر معاً، وأكد العداوة، وأبدها بقوله: (أبداً) معبراً بالظرف الزماني المستقبل المستمر إلى غاية وهي الإيمان، وأتى «بحتى» الغائية، الدالة على مغايرة ما قبلها لما بعدها، المعنى: إن لم تؤمنوا فالعداوة باقية.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يونس: ١٠٤ – ١٠٥].

والآيات في بيان الدعوة إلى الله، ومباينة المشركين، والبعد عنهم، وجهادهم بالحجة واللسان، والسيف والسنان، كثيرة جداً، وهذا المقام العظيم للنفس فيه مغالطات، وللشيطان فيه ركضات، قد غلط فيه أكثر الناس، وأشكل أمره حتى على العباس.

فتدبر القرآن إن رمت الهدى ... فالعلم تحت تدبر القرآن

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ على قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٨].

أي: «هذه الموالاة لله، والمعاداة التي هي معنى شهادة أن لا إله إلا الله، باقية في عقبه، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم إلى يوم القيامة» انتهى ملخصاً.(١)

وهو من تفسير الشيء بلازمه، والمعاداة من باب المفاعلة الدالة على المشاركة، كالمبايعة والمقاتلة والمعاهدة، **المعنى**: أن كلاً منهما أظهر العداوة للآخر، واشتركا فيها، لأن الاشتراك هو الأصل، كما هو معلوم عن علماء الصرف، وليس مع المنازع ما يدفع هذه الآيات المحكمات، والقواطع البينات، إلا دعوى الخصوصية، وأنى له ذلك؟! وقد قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وفي الحديث الصحيح: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا

---

(١) الجواب الكافي (ص٢٦٥).

يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، إلى يوم القيامة». [١]

وقد هاجر جعفر وأصحابه إلى الحبشة، وتسمى هجرة الانتقال عن دار الخوف، وصبروا على الغربة وفراق الوطن، ومجاورة غير الشكل، وما ذاك إلا لأجل هذه البراءة والتصريح بما هم عليه من الدين.

ولما قالت قريش لابن الدغنة، بعد إرجاعه أبا بكر إلى مكة، وإجارته إياه: «مره أن يعبد ربه بداره ولا يستعلن، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا»، أبى إلا الاستعلان بالقرآن، ونبذ إلى ابن الدغنة ذمته، ورضي بجوار الله، ولم يزل على ذلك إلى أن هاجر، والقصة مشهورة مبسوطة في دواوين الإسلام. [٢]

فمن كان بهذه المثابة داعياً إلى الله، ناهياً عن المنكر، أو مصرحاً بما هو

---

(١) هذا اللفظ مركب من حديثين:

الأول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**»، أخرجه مسلم (١٥٦)، (١٩٢٣) من حديث جابر بن عبدالله.

الثاني: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**»، أخرجه البخاري (٢٩٤٨) من حديث معاوية، (٣٤٤١) من حديث المغيرة، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة، (١٩٢٠) من حديث ثوبان، رضي الله عنهم.

(٢) أخرجها البخاري (٢١٧٥)، (٣٦٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

عليه، بحيث أنه يُرجى بإقامته هداية غيره، فمقامه ـ والحالة هذه ـ جائز، وقد نُوزع الماوردي في إطلاق الأفضلية في حقه، فإنه قال الشوكاني لما ذكره: «ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب»، ويأتيك باقي الكلام عليه، في الجواب عن المعارضة، إن شاء الله تعالى.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في البدائع على قوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨] إلى قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾:

«ومعلوم أن التقاة ليست بموالاة، ولكن لما نهاهم عن موالاة الكفار، اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم، ومجاهرتهم بالعداوة في كل حال، إلا إذا خافوا من شرهم، فأباح لهم التقية، وليست التقية موالاة لهم، فهو إخراج من متوهم غير مراد» انتهى كلامه.[١]

فانظر إلى قوله: «والبراءة منهم، ومجاهرتهم بالعداوة في كل حال»، وأن الاستثناء منقطع، وعليه: فالتقية ليست من الركون، ولا حجة فيها لمفتون، بل هي إباحة عارضة لا تكون إلا مع خوف القتل، كما قال أكثر المفسرين،

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٥٧٥).

وعن سعيد بن جبير: «لا تكون التقية في سلم إنما هي في حرب»[(١)].

وقد بنى العلامة ابن قدامة وابن أبي عمر وغيرهما؛ كالحافظ وغيره حكم الإباحة على مقدمتين: إظهار الدين، وأداء الواجبات.

والحكم إذا علق بوصفين لم يتم بدونهما، خصوصاً إذا أعيدت الأداة، وتكررت الصيغة، وقد أعيدت الأداة وتكررت، وأعيدت الصيغة هنا، **حيث قالوا:** ولا يمكنه إظهار دينه، ولا يمكنه إقامة واجبات دينه، وهذا يدل على أن لكل جملة معنى غير الذي للأخرى.

ولو كان إظهار الدين هو أداء الواجبات البدنية فقط ـ كما فهم المجيز ـ لما طابق مقتضى الحال، وحاشا أئمة العلم من ذلك، فالفهم فاسد والمحصل كاسد، نعم لو سلمنا أن إظهار الدين أداء الواجبات فأوجب الواجبات: التوحيد وما يتضمنه، وهو أوجب من الصلاة وغيرها، وهو الذي ما زالت الخصومة فيه، وهذا اللفظ يصدق عليه.

فإظهاره هو الإعلان بمباينة المعتقد، والبعد عن ضده، دع الدعوة إليه أمر

---

(١) أخرج ابن سعد في الطبقات (٦/ ٢٦٣) عن سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ أنه قال: «لا تقية في الإسلام»، والذي يظهر أن ما في الطبقات مصحَّف، وأن الصواب: «لا تقية في سلام». والله أعلم.

وراء ذلك، فلو استقل الحكم بما زعمه المجيز ـ هداه الله ـ من أن العلة عدم المنع من العبادة، لبقيت نصوص الشارع عديمة الفائدة، لأنه لا يمنع أحد من فعل العبادات الخاصة في أكثر البلاد، فبطل ما زعمه وسقط ما فهمه.

قال شيخنا العلامة عبداللطيف، ـ رحمه الله ـ في بعض رسائله: «قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ـ رحمه الله ـ في المواضع التي نقلها من السيرة: «فإنه لا يستقيم للإنسان إسلام ـ ولو وحَّد الله وترك الشرك ـ إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء»[1]».

قال: «فانظر إلى تصريح الشيخ، بأن الإسلام لا يستقيم إلا بالتصريح لهم بالعداوة والبغضاء، وأين التصريح من هؤلاء المسافرين؟! والأدلة من الكتاب والسنة ظاهرة متواترة على ما ذكره الشيخ، وهو موافق لكلام المتأخرين في إباحة السفر لمن أظهر دينه، ولكن الشأن في إظهار الدين، وهل اشتدت العداوة بينه ﷺ، وبين قريش، إلا لما كافحهم بسب دينهم، وتسفيه أحلامهم، وعيب آلهتهم.

وأي رجل تراه يُعمل المطي جاداً في السفر إليهم واللحاق بهم، حصل

---

(١) مختصر السيرة؛ للشيخ محمد بن عبدالوهاب، (ص٣٠).

منه أو نقل عنه ما هو دون هذا الواجب؟! والمعروف المشتهر عنهم ترك ذلك كله بالكلية، والإعراض عنه، واستعمال التقية والمداهنة، وشواهد هذا كثيرة... **إلى أن قال**:حتى ذكر جمع تحريم القدوم إلى بلد تظهر فيه عقائد المبتدعة، كالخوارج والمعتزلة والرافضة، إلا لمن عرف دينه في هذه المسائل، وعرف أدلته وأظهره عند الخصم» انتهى كلامه.(١)

فانظر إلى قوله: «وأنه لا يستقيم الإسلام إلا بالتصريح بالعداوة»، يعني أن الإسلام ناقص، وصاحبه معرض للوعيد ، **وانظر إلى قوله**: «والأدلة عليه من الكتاب والسنة متواترة» **أي**: على وجوب التصريح، وإلا فالعداوة لا يخلو منها من لا يؤمن بالله ورسوله، ففرق بين العداوة وإظهار العداوة، ومن هنا غلط من غلظ حجاب طبعه، ولم يعرف المفهوم من التخاطب ووضعه.

وكلام الشيخ هذا، هو صريح كلام السلف قديماً وحديثاً، كما قدمنا لك، عن سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد ومن بعدهم، وقد مرَّ بك صريحاً في كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ وغيره، وفي قصة خالد مع مجَّاعة، حين أسره دلالة ظاهرة، **فإنه قال له**: «قد أسلمت وبايعت النبي ﷺ، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس، فإن يكن كذاباً خرج فينا، **فإن الله يقول**: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

---

(١) انظر عيون الرسائل (١/ ٢٢٢-٢٢٣).

أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]».

وقول خالد له: «تركت اليوم ما كنت عليه أمس، وكان سكوتك إقراراً له، فهلا أبديت عذراً وتكلمت فيمن تكلم؟ فقد تكلم فلان وفلان، فإن قلت: أخاف قومي، فهلا عمدت إلي أو بعثت إليَّ رسولاً»، فخصمه خالد فطلب العفو، فعفا عن دمه، والقصة مشهورة.(١)

قال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في شعب الإيمان ما نصه: «فالظاهر منها، أي: من الهجرة، هو الفرار بالجسد من الفتن لقوله ﷺ: «أنا بريء من أهل ملتين تراءى ناراهما»، فتبرأ النبي ﷺ منهم لتخلف شعبة الهجرة عنهم، إذ هي من أعظم شعب الإيمان؛ لقوله ﷺ وقد ذكر الفتن: «لا يسلم لذي دين دينه، إلا من فر من شاهق إلى شاهق»(٢) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [النساء: ٩٧ – ٩٨].

---

(١) أخرجها ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/ ٥٤٩).

(٢) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (٤٣٩) من حديث أبي هريرة، والخطابي في العزلة (ص١٦) من حديث ابن مسعود، ولا يثبت مرفوعاً، انظر تخريج الإحياء للعراقي (١/ ٣٧١).

وفي البخاري: «والفرار من الفتن من الإيمان »،[١] فما كان من الإيمان فهو من شعبه بلا شك، فالفرار ظاهراً من بين ظهراني المشركين، واجب على كل مسلم، وكذلك كل موضع يخاف فيه من الفتنة في الدين، من ظهور بدعة، أو ما يجر إلى كفر في أي بلد كان من بلاد المسلمين، فالهجرة منها واجبة إلى أرض الله الواسعة».[٢]

وكلام أبي عبدالله الحليمي في هذا المقام واضح، فإنه قال:[٣] «وكل بلد ظهر فيها الفساد، وكانت أيدي المفسدين أعلى من أيدي الصلاح، وغلب الجهل، وسمعت الأهواء فيهم، وضعف أهل الحق عن مقاومتهم، واضطروا إلى كتمان الحق، خوفاً على أنفسهم من الإعلان، فهو كمكة قبل الفتح في وجوب الهجرة منها، لعدم القدرة عليها، ومن لم يهاجر فهو من السمحاء بدينه».

وقال: «ومن الشح بالدين أن يهاجر المسلم من موضع لا يمكنه أن يوفي الدين فيه حقوقه إلى موضع يمكنه فيه ذلك، فإن أقام بدار الجهالة ذليلاً

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١١).

(٢) تبع الشيخ ـ رحمه الله ـ والده في نسبة هذا النص للبيهقي في «شعب الإيمان»، وإنما هو لأبي محمد عبدالجليل بن موسى، المعروف بالقصري، وهو في «شعب الإيمان» له، (ص١٦٢-١٦٣).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان، (٢/ ١٨٣).

مستضعفاً، مع إمكان انتقاله عنها، فقد ترك فرضاً في قول كثير من العلماء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآيتين، لا يقال: ليس في الآية تصريح بذكر المؤمنين، فيجوز أن يكون المراد بها الكافر، **لأنا نقول**: «ذكر العفو عمن استثنى يرد ذلك، فإن الله لا يعفو عن الكافرين، وإن عزم على الإيمان، ما لم يؤمن». انتهى، وهو صريح في بيان المقصود.

بهذا كله تعرف أن من عبر من أهل العلم بأمن الفتنة، أو القدرة على أداء الواجبات، أو إطلاق لفظ العبادة، فكلامه مجمل، يرد إلى صريح الظاهر الذي قد قال به السلف الصالح، من سلف هذه الأمة وأئمتها، ممن قدمنا ذكرهم وغيرهم.

وقد ذكر صاحب المعتمد ـ وهو من أجلاء الشافعية ـ أن الهجرة كما تجب من دار الشرك، تجب من بلد إسلام أظهر بها حقاً ـ **أي**: واجباً ـ ولم يقبل منه، ولا قدرة له على إظهاره، **وهو موافقة لقول البغوي الذي قدمنا**: «يجب على كل من كان ببلد يعمل فيها المعاصي، ولا يمكنه تغييرها، الهجرة إلى حيث تتهيأ له العبادة»، نقله عنهما ابن حجر في شرح المنهاج.

قال: وبه قال جمع من الشراح، **منهم**: الأذرعي والزركشي، وأقروه، ومن متأخريهم البلقيني، ذكر ابن حجر أنه صرح به، **وبأن شرط ذلك**: أن

يقدر على الانتقال إلى بلد سالمة من ذلك». [١]

فإظهار الدين هو ما صرح به هؤلاء الأئمة، وكلامهم لا يختلف فيه، والقول بأن الشارع رتب الوعيد على مجرد المساكنة والمجامعة، هو الذي يعطيه ظاهر الدليل، وقد قال به طائفة من أهل العلم، والقول بأن إظهار الدين يبيح الإقامة، رخصة، ومن الجناية على الشرع أن تفسر هذه الرخصة بما يوافق الرأي والهوى، ثم يدفع به في نحر النصوص الواضحة البينة.

وأما متأخرو الحنابلة فكلامهم في هذا الباب أشهر من نار على علم.

قال في الإقناع وشرحه: «وتجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه بدار الحرب، وهو ما يغلب عليها حكم الكفر، زاد جماعة وجزم به في المنتهى: أو بلد بغاة، أو بدع مضلة، كالرافضة والخوارج، فيخرج منها إلى دار أهل السنة وجوباً، إن عجز عن إظهار مذهب أهل السنة فيها». [٢]

فعُلم أن إظهار الدين في عبارة الموفق ومن قبله ومن بعده من الأصحاب، هو: **إظهار التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة**، في بلد يخفى فيه، بل يُجعل ضده هو الدين، ومن تكلم به هو الوهابي الخارجي، صاحب

---

(١) انظر: تحفة المنهاج (١٢/ ١١٠-١١١).

(٢) كشاف القناع (٣/ ٤٧).

المذهب الخامس، الذي يكفر الأمة!

وقال الشيخ العلامة حمد بن عتيق ـ رحمه الله ـ : «وأما مسألة إظهار الدين، فكثير من الناس قد ظن أنه إذا قدر أن يتلفظ بالشهادتين، وأن يصلي الصلاة ولا يرد عن المساجد، فقد أظهر دينه، وإن كان ببلد المشركين، وقد غلط في ذلك أقبح الغلط».

قال: «ولا يكون المسلم مظهراً للدين، حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عنها، ويصرح لها بعداوته، فمن كان كفره بالشرك؛ فإظهار الدين عنده أن يصرح بالتوحيد والنهي عن الشرك، والتحذير منه، ومن كان كفره بجحد الرسالة، فإظهار الدين عنده التصريح بأن محمداً رسول الله، ومن كان كفره بترك الصلاة، فإظهار الدين عنده بفعل الصلاة، ومن كان كفره بموالاة المشركين، والدخول في طاعتهم، فإظهار الدين عنده التصريح بعداوته والبراءة منه ومنهم... إلى آخر كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ.[1]

وقد مر لك هذا صريحاً في كلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في المواضع التي نقلها من السيرة وسماه العلامة عبداللطيف واجباً، **قال فيه:** «وأي رجل نقل عنه ما هو دون هذا الواجب»؟!.

(١) سبيل النجاة والفكاك من موالاة أهل الإشراك (ص٩٢).

فالحاصل هو ما قدمناه من أن إظهار الدين الذي تبرأ به الذمة، هو الامتياز عن عباد الأوثان بإظهار المعتقد، والتصريح بما هو عليه، والبعد عن الشرك ووسائله، فمن كان بهذه المثابة إن عرف الدين بدليله، وأمن الفتنة، جاز له الإقامة، والله أعلم» انتهى كلام الشيخ إسحق بن عبدالرحمن - رحمهما الله.

وقال الشيخ حمد بن عتيق[1] عن مسألة الإقامة عند الكفار: «وأنا أذكر ما عليه أئمة هذه الدعوة النجدية ومن اقتفى آثارهم ممن هداه الله، في المسألة المشار إليها، وأنه موافق لما دل عليه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل الصحابة رضي الله عنهم، فأقول: لا يخلو من أقام ببلاد المشركين من ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يقيم عندهم رغبة واختياراً لصحبتهم، فيرضى ما هم عليه من الدين، أو يمدحه، أو يرضيهم بعيب المسلمين، أو يعاونهم على المسلمين بنفسه أو ماله أو لسانه؛ فهذا عندهم كافر، عدو لله ولرسوله؛ لقوله تعالى :

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ

(١) الدفاع عن أهل السنة والاتباع، (ص ١٠-١٧).

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٢٨]، قال ابن جرير: قد برئ من الله وبرئ الله منه؛ لارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥١] وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [سورة النساء الآية : ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ [سورة محمد، الآية : ٢٥، ٢٦]، وفي السنن عن سُمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : «من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله»[1]، وصح عن عبد الله بن عمر أنه قال: من بنى بأرض المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت حُشر معهم يوم القيامة ـ قال شيخ الإسلام : وظاهر هذا أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور.

وقال شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ـ لما ذكر الأنواع

(١) أخرجه أبوداود (٢٧٨٧)، وصحَّحه الألباني ـ رحمه الله ـ.

التي يكفر بها الرجل: «النوع الرابع : من سلم من هذا كله، ولكن أهل بلده يصرون لعداوة التوحيد واتباع أهل الشرك، وساعين في قتالهم، ويعتذر أن ترك وطنه يشق عليه؛ فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بحاله ونفسه؛ فهذا أيضاً كافر. فإنه لو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ترك ذلك إلا بمخالفتهم فعل، وموافقته - مع الجهاد معهم بنفسه وماله، مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله - أكبر من ذلك بكثير؛ فهذا أيضاً كافر، وهو ممن قال الله فيهم ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ [سورة النساء، الآية : ٩١]».

القسم الثاني: أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد أو بلاد، وهو لا يُظهر دينه مع قدرته على الهجرة ولا يعينهم على المسلمين بنفس ولا مال ولا لسان، ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه؛ فهذا لا يكفرونه لأجل مجرد الجلوس، ولكن يقولون إنه قد عصى الله ورسوله بترك الهجرة وإن كان مع ذلك يُبغضهم في الباطن؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية : ٩٧]، قال ابن كثير -

رحمه الله - : ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي بترك الهجرة ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي لمَ مكثتم ههنا وتركتم الهجرة ؟ قال : فهذه الآية عامة لكل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية. ثم ذكر ما تقدم من حديث سمرة مرفوعاً: «**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**»[1] رواه أبوداود . وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية : ٢٤]قال مجاهد: نزلت عن قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من يتعلق به أهله وولده يقولون : ننشدك الله أن تضيعنا، فيرقّ قلبه عليهم، فيقيم عندهم، فيدع الهجرة، فأنزل الله هذه الآية ـ أي : قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة ﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ وذلك أنه لما نزلت الآية الأولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا : إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا، وذهبت

---

(١) سبق تخريجه.

تجارتنا، وخربت دورنا، وقطعنا أرحامنا. فأنزل الله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ ﴾ تستطيبون منها، يعني القصور والمنازل ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ فانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قال عطاء : بقضائه، وقال مجاهد ومقاتل : بفتح مكة، وهذا أمر تهديد ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ﴾ لا يوافق ولا يرشد ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أي الخارجين عن الطاعة ـ انتهى من تفسير البغوي رحمه الله.

وما من أحد يترك الهجرة إلا وهو يعتذر بشيء من هذه الثمانية، وقد سد الله على الناس باب الاعتذار بها، وجعل من ترك الهجرة لأجلها أو لأجل واحد منها فاسقاً ـ وإذا كانت مكة هي أشرف بقاع الأرض، وقد أوجب الله الهجرة منها، ولم يجعل محبتها عذراً، فكيف بغيرها من البلدان؟ فقد ظهر حينئذ أن اعتذار هذا المُشبه بماله وولده قد سبقه إليه هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية. هذا مع أنه ضم إلى جلوسه معهم ما هو أعظم من ذلك؛ من الثناء عليهم، وإقامة الأعذار لمن والاهم، فالله المستعان.

القسم الثالث : من لا حرج عليه في الإقامة بين أظهرهم؛ وهو نوعان : أحدهما : أن يكون يُظهر دينه؛ فيتبرأ منهم وما هم عليه، ويصرح لهم ببراءته

منهم، وأنهم ليسوا على حق، وأنهم على الباطل، وهذا هو إظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون]. فأمره أن يخاطبهم بأنهم كافرون، وأنه لا يعبد معبوداتهم، وأنهم بريئون من عبادة الله، أي أنهم على الشرك وليسوا على التوحيد، وأنه قد رضي بدينه الذي هو عليه، وبرئ من دينهم الذي هم عليه. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٤ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٠٤، ١٠٥] فأمر نبيه أن يقول للناس: إن شككتم في ديني الذي أنا عليه فأنا بريء من دينكم، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم. فمن قال مثل ذلك للمشركين لم تجب عليه الهجرة. وليس المراد بإظهار الدين أن يُترك الإنسان يصلي، ولا يقال له أعبد الأوثان؛ فإن اليهود والنصارى لا ينهون من صلى في بلدانهم، ولا يُكرهون الناس على أنهم يعبدون الأوثان، فعلى قول هؤلاء الجهلة لا تجب الهجرة على أحد، ويبطل

حكمها . والمقصود أن إظهار الدين هو التصريح للكفار بالعداوة؛ كما احتج خالد بن الوليد على مجاعة بأنه سكت ولم يُظهر البراءة كما أظهرها ثمامة واليشكري، والقصة معروفة في السِّيَر، فما لم يحصل التصريح للمشركين بالبراءة منهم ومن دينهم؛ لم يكن إظهارُ الدين حاصلاً.

النوع الثاني: أن يقيم عندهم مستضعَفاً، وقد بين الله الاستضعاف في كتابه فقال : ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٧] وهذا الاستثناء بعدما توعد المقيمين بين أظهر المشركين بأن ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية : ٩٧] فاستثنى من لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، قال ابن كثير: لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق، ولهذا قال ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ ، قال عكرمة : يعني نهوضاً إلى المدينة، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ، قال مجاهد وعكرمة : يعني طريقاً ـ انتهى . وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية : ٧٥] فذكر في الآية الأولى حالهم، وهي العجز عن الخروج، وعدم دلالة الطريق، وذكر في الآية الثانية مقالهم، وهو أنهم

يسألون الله أن يُخرجهم من بلاد الشرك الظالم أهلُها، وأن يجعل لهم ولياً يتولاهم وناصراً ينصرهم، فمن كانت تلك حاله وهذا مقاله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا﴾ [سورة النساء، الآية : ٩٩]، فقد ظهر ما عليه أئمة هذه الدعوة النجدية» . انتهى كلام الشيخ حمد بن عتيق ـ رحمه الله ـ[١]

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ في مسألة «إظهار الدين»: «إظهاره دينه ليس مجرد فعل الصلاة وسائر فروع الدين واجتناب محرماته من الربا وغير ذلك، إنما إظهار الدين: مجاهرته بالتوحيد والبراءة مما عليه المشركون من الشرك بالله في العبادة وغير ذلك من أنواع الكفر والضلال».[٢]

قلت: ولا زال علماؤنا ـ ولله الحمد ـ يبينون حكم هذه المسائل المتجددة، التي يحتاج المسلم إلى التذكير بها بين الحين والآخر.

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ : «لا يجوز للإنسان أن يسافر إلى بلد

(١) وللزيادة من أقوال أئمة الدعوة في هذه المسألة؛ تنظر رسالة الشيخ مدحت آل فراج: «المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد»، (ص٤٩٣-٥١٤).

(٢) فتاواه، (١/ ٩١-٩٢).

الكفر إلا بشروط ثلاثة:

الشرط الأول: أن يكون عنده علمٌ يدفع به الشبهات؛ لأن الكفار يوردون على المسلمين شُبهاً في دينهم، وشُبهاً في رسولهم، وشُبهاً في كتابهم، وشُبهاً في أخلاقهم، وفي كل شيءٍ يوردون الشُبهة؛ ليبقى الإنسان شاكاً متذبذباً، ومن المعلوم أن الإنسان إذا شك في الأمور التي يجب فيها اليقين؛ فإنه لم يقم بالواجب، فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ـ الإيمان بهذه ـ يجب أن يكون يقيناً، فإن شك الإنسان في شيء من ذلك فهو كافر.

فالكفار يُدخلون على المسلمين الشك، حتى إن بعض زعمائهم صرَّح قائلاً: لا تحاولوا أن تُخرجوا المسلم من دينه إلى دين النصارى، ولكن يكفي أن تشككوه في دينه؛ لأنكم إذا شككتموه في دينه سلبتموه الدين، وهذا كاف، أنتم أخرجوه من هذه الحظيرة التي فيها الغلبة والعزة والكرامة ويكفي. أما أن تحاولوا أن تدخلوه في دين النصارى ـ المبني على الضلال والسفاهة ـ فهذا لا يمكن، لأن النصارى ضالون، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم(١)، وإن كان دين المسيح عليه الصلاة والسلام دين

(١) أخرجه الترمذي، (٢٩٥٣-٢٩٥٤) بلفظ: «اليهود مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضُلال»، =

حق، لكنه دين الحق في وقته، قبل أن يُنسخ برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الهدى والحق فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دينٌ يحميه من الشهوات؛ لأن الإنسان يدفع به الشبهات. الذي ليس عنده دين إذا ذهب إلى بلاد الكفر انغمس؛ لأنه يجد زهرة الدنيا، هناك شهوات، من خمر، وزنى، ولواط. كل إجرام موجود في بلاد الكفر. فإذا ذهب إلى هذه البلاد يُخشى عليه أن ينزلق في هذه الأوحال، إلا إذا كان عنده دين يحميه. فلا بد أن يكون عند الإنسان دينٌ يحميه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون مُحتاجاً إلى ذلك؛ مثل أن يكون مريضاً؛ يحتاج إلى السفر إلى بلاد الكفر للاستشفاء، أو يكون مُحتاجاً إلى علمٍ لا يوجد في بلد الإسلام تخصصٌ فيه؛ فيذهب إلى هناك ويتعلم، أو يكون الإنسان محتاجاً إلى تجارة، يذهب ويتجر ويرجع. المهم أنه لا بد أن يكون هناك حاجة، ولهذا أرى أن الذين يُسافرون إلى بلد الكفر من أجل السياحة فقط، أرى أنهم

وأحمد، (٤/ ٣٧٨) بلفظ: «**إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى**»، وقال الترمذي: حسن غريب، وهو في صحيح الجامع، برقم (٨٢٠٢).

آثمون، وأن كل قرشٍ يصرفونه لهذا السفر فإنه حرام عليهم، وإضاعةٌ لمالهم، وسيُحاسبون عنه يوم القيامة؛ حين لا يجدون مكاناً يتفسحون فيه أو يتنزهون فيه، حين لا يجدون إلا أعمالهم؛ لأن هؤلاء يُضيعون أوقاتهم، ويُتلفون أموالهم، ويُفسدون أخلاقهم، وكذلك ربما يكون معهم عوائلهم، ومن عجب أن هؤلاء يذهبون إلى بلاد الكفر التي لا يسمع فيها صوت مؤذن، ولا ذكر ذاكر، وإنما يُسمع فيها أبواق اليهود، ونواقيس النصارى، ثم يبقون فيها مدة هم وأهلوهم وبنوهم وبناتهم، فيحصل في هذا شرٌ كثيرٌ، نسأل الله العافية والسلامة.

والسفر إلى بلاد الكفر للدعوة يجوز؛ إذا كان له أثر وتأثير هناك فإنه جائز؛ لأنه سفرٌ لمصلحة، وبلاد الكفر كثيرٌ من عوامهم قد عُمّيَ عليهم الإسلام، لا يدرون عن الإسلام شيئاً، بل قد ضُلِّلوا، وقيل لهم: إن الإسلام دين وحشيةٍ وهمجيةٍ ورعاع، ولا سيما إذا سمع الغرب بمثل هذه الحوادث التي حصلت على أيدي من يقولون إنهم مسلمون،، سيقولون: أين الإسلام؟! هذه وحشيةٌ!! وحوشٌ ضاريةٌ يعدو بعضها على بعض، ويأكل بعضُها بعضاً، فينفر الناس من الإسلام بسبب أفعال المسلمين، نسأل الله أن يهدينا جميعاً صراطهُ المستقيم». (١)

---

(١) شرح رياض الصالحين، (١/ ٢٢-٢٥).

وانظر للزيادة: «فتاوى اللجنة الدائمة»، (٢/ ٦٨-٦٩)، وفتاوى الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ (٤/ ١٩٢-١٩٩) و (٥/ ٣٩٠-٣٩١)، و «مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين» ـ رحمه الله ـ (١٥٤-٦١).

وللأستاذ عماد بن عامر رسالة بعنوان «الهجرة إلى بلاد غير المسلمين»، أجاد فيها؛ إلا أنه أخطأ في اختياره (ص١٧٩) جواز السفر إلى بلاد الكفار، لغير حاجة، وتسهيله في (ص٣٠٤ وما بعدها) أمر التجنس بجنسية دولة كافرة.

ردود الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ على ابن عمرو

للشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ ثلاثة ردود على ابن عمرو، هذا بيانها:

الرد الأول: الجواب الفائض لأرباب القول الرائض:

وسبب تأليف هذا الكتاب [١] هو أن الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ بعث رسالة إلى بعض طلبة العلم في القصيم قال في مطلعها: «فقد بلغنا ما اشتهر عن بعض الإخوان، فأساء القلب، وبعث الأحزان، وكدر ما صفا، وقلب الفرح أسفا، وذلك أنهم زعموا أن الإقامة بين أظهر المشركين جائزة لمن صلى وصام، وأن السفر جائز إلى بلاد المشركين وعباد الأصنام، وأن من نهى عن ذلك ومنع منه فهو من المتشددين المنفرين...» إلخ، **وكتب معها هذه القصيدة:** [٢]

ألا قل لأهل الجهل من كل من طغى ... على قلبه رين من الريب والعمى
لعمري لقد أخطأتُم إذ سلكتمُ ... طريقة جهلٍ غيُّها قد تجهَّما [٣]
أيحسب أهلُ الجهل لمـاّ تعسفوا ... وجاؤوا من العدوان أمراً محرَّما [٤]

---

(١) نقلاً عن مقدمة محقق الكتاب: الأخ فهد العرجاني، (ص٣٠-٣١) بتصرف يسير.

(٢) ديوان ابن سحمان، (٢/ ٥١-٥٨).

(٣) تجهَّم: عبس وصار كريهاً.

(٤) تعسَّف: عدل وصار على غير هدى، والمراد هنا الظلمة.

بــأن حمــى التوحيــد لــيس بربعــه ولا حــصنه مــن يحمــه أن يهــدَّما
وظنــوا ســفاهاً أن خــلا فتواثبــت ثعالبُ ما كانــت تطـا في فنـا الحمـى
أيحــسب أعمــى القلــب أن حُماتــه غُفَــاةٌ فــما كــانوا غفــاةً ونُوَّمــا[١]
فــإن كــان فَــدْمٌ جاهــلٌ ذو غبــاوة رأى ســفهاً مــن رأيــه أن تكلــما[٢]
يقــول مــن الجهــل المركــب خالَــه صــواباً وقــد قــال المقــال المــذمَّما
سنكــشف بالبرهــان غيهــب جهلــه ويعلــم حقــاً أنــه قــد توهَّمــا[٣]
ونظهــر مــن عوراتــه كــلَّ كــامن لــيعلم أن قــد جــاء إفكــاً ومــأثما[٤]
رويداً فأهل الحـق ويحـك في الحمـى فقد فوَّقــوا نحــو المعــادين أســهما[٥]
وتلــك مــن الآيــات والــسنن التــي هي النــور إن جــنَّ الظــلام وأجهــما
فيــا مــن رأى نهــج الــضلالة نــيِّراً ومَهْيَعَ أهلِ الحـق والـدين مظلـما[٦]
لعمري لقد أخطـأت رشـدك فاتَّئـد وراجع لمـا قـد كـان أقـوى وأقومـا

---

(١) **الإغفاءة**: النومة الخفيفة.

(٢) **الفدم**: الثقيل الفهم العيي.

وقوله: «سنكشف» جواب الشرط، وجملة رأى وصف لفدم.

(٣) **الغيهب**: الظلمة، **ورجل غيهب**: ثقيل بليد.

(٤) **الإفك**: الكذب المفترى.

(٥) **فوّق السهم**: عمل له فوقاً، وهو حيث يثبت الوتر منه.

(٦) **المهيع**: الطريق.

من المنهج الأسنى الذي ضاء نوره ... ودع طرقاً تُفضي إلى الكفر والعمى
وملة إبراهيم فاسلك طريقها ... وعادِ الذي عاداه إن كنت مسلما
ووالِ الذي والى وإياك لا تكنْ ... سفيهاً فتحظى بالهوان وتندما
أفي الدين يا هذا مساكنة العِدى ... بدارٍ بها الكفرُ ادلهمَّ وأجهما
وأنت بدار الكفر لست بمظهرٍ ... لدينك بين الناس جهراً ومَعْلَما
بأيِّ كتاب أم بأية سنة ... أخذت على هذا دليلاً مسلَّما
وإن الذي لا يُظهر الدين جهرة ... أبحتَ له هذا المقام المحرَّما
إذا صام أو صلى وقد كان مُبْغِضاً ... وبالقلب قد عادى ذوي الكفر والعمى
ثكلتكَ هل حدَّثْتَ نفسك مرة ... بملة إبراهيم أم كنت معدما[1]
ففي الترمذي أن النبي محمداً ... بريء من المرء الذي كان مسلماً
يقيم بدار أظهر الكفرَ أهلُها ... فيا ويح من قد كان أعمى وأبكما[2]
أما جاء آيات تدل بأنه ... إذا لم يهاجر مستطيع فإنما
جهنمُ مأواه وساءت مصيرَهُ ... سوى عاجزٍ مستضعفٍ كان معدما[3]

---

(١) ثكلتك: فقدتك.

(٢) روى الإمام الترمذي (١٦٠٤) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس بالسجود، فأسرع فيهم القتل، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأمر لهم بنصف العقل وقال ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله لم؟ قال ﷺ: «لا ترآى نارهما»، وسيأتي تخريجه ـ إن شاء الله ـ.

(٣) يعني الشاعر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى

=

فهل عندكم علمٌ وبرهانَ حجةٍ فحيَّهلا هاتوا الجواب المحتَّما(١)
ولن تستطيعوا أن تجيؤوا بحجة لتدفعَ نصاً ثابتاً جاء محكما
ولكنها الأهواء تهوي بأهلها فويلٌ لمن ألوتْ به ما تألَّما(٢)
ألا فأفيقوا وارجعوا وتندّموا وفيؤوا فإن الرشد أولى من العمى
وظني بأن الحب لله والولا عليه تولَّى عنكمو بل تصرَّما
وحبكمُ الدنيا وإيثارُ جمعها على الدين أضحى أمره قد تحكَّما
لذلك داهنتم وواليتمُ الذي بأوضار أهل الكفر قد صار مظلما(٣)
وجوَّزتمُ من جهلكم لمسافرٍ إقامتهُ بين الغواة تحكُّما
بغير دليل قاطع بل بجهلكم وتلبيس أفَّاك أراد التهكُّما(٤)
وقد قلتمُ في الشيخ منْ شاع فضلُه وأنجد في كل الفنون وأتهما(٥)

ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٧ – ٩٩].

(١) **حيَّهلا**: أقْبِلْ وعجِّل.

(٢) **ألوى بالشيء**: ذهب به.

(٣) **داهنه**: داراه ولاينه. **الوضر**: الوسخ، **وفلان ذو أوضار**: خبيث.

(٤) **الأفاك**: الكذاب المفتري.

(٥) **أنجد**: ارتفع، أو أتى نجداً. **أتهم**: أتى تهامة، يقصد الشاعر أن علمه قد شاع في كل مكان.

إمام الهدى عبدِاللطيف أخي التقى ... فقلتم من العدوان قولاً محرَّما[1]
مقالة فدْمٍ جاهلٍ متكلِّفٍ ... يرى أنه كفءٌ فقال من العمى
ينفِّر بل قد قلتمُ من غبائكم ... يشدِّد أو قلتم أشدَّ وأعظما
وليس يضرُّ السحب في الجوِّ نابحٌ ... وهل كان إلا بالإغاثة قد همى[2]
فيدعو له من كان يحيا بصوبه ... ويجفوه مَنْ قد كان أعمى وأبكما
أيُنْسَبُ للتنفيرِ وهو الذي له ... رسائل لم يعلمْ بها من توهَّما
يؤنِّب فيها من رأى منه غلطة ... ويأمر أن يُدعى بلينٍ ويحلما
ويُنسب للتشديد إذ كان قد حَمى ... حِمى الملة السمحاء أن لا تُهدَّما
وغار عليها من أناس ترخَّصوا ... وقد هوَّنوا ما حقُّه أن يُعَظَّما
وقد فتحوا باب الوسائل جهرة ... وقد جهلوا الأمر الخطير المحرَّما
فلو كنتمُ أعلى وأفضلَ رتبةً ... وأزكى وأتقى أو أجلَّ وأعلما
يشار إليكم بالأصابع أو لكم ... من العلم ما فقتم به من تقدَّما
لكنا عذرناكم وقلنا أئمةٌ ... جهابذةٌ أدرى وأحرى وأفهما[3]
ولكنكم من سائر الناس ما لكم ... من العلم ما فقتم به من تعلَّما
ومن أصغر الطلاب للعلم بل لكم ... مزيَّةُ جهلٍ غيُّها قد تجهَّما

---

(١) يقصد: الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحمهم الله ـ.

(٢) هما وهمى: سقط وسال.

(٣) الجِهْبَذ: الخبير بغوامض الأمور.

لــذلك أقــدمتم لفــتح وســائلٍ وقــد ســدَّها مَــنْ كــان بــالله أعلــما
ثكلـتكمُ هـل حـدَّثتكُمْ نفوسـكُم بخـرق سـياجِ الـدين عَـدْواً ومـأثما
وأن الحــماة النــاصرين لــربِّهم وللدين قد مـاتوا فمـن شـاء أقـدما
عـلى مـا يـشا مـن كـل أمـرٍ محـرَّم ولــيس لــه مــن وازعٍ إن تكلَّــما
وأن حِمــى التوحيــدِ أقفــر رســمه فقلـتم ولم تخـشوا عتابـاً ومَــنْقَما(١)
فـــنحن إذاً والحمـــد لله لم نـــزل عـلى ثغـرة المرمـى قعـوداً وجُـثَّما(٢)
ألا فـاقبلوا منـا النـصيحة واحـذروا وفيؤوا إلى الأمر الذي كان أسلما(٣)
وإلا فإنّـــا لا نوافـــق مـــن جفـــا ويسعى بأن يوطا الحمى أو يهدَّما(٤)
كـما أننـا لا نرتـضي جَـوْرَ مَـنْ غـلا وزاد عــلى المــشروع إفكــاً ومــأثما
ويــا مـؤثر الـدنيا عـلى الـدين إنـما عـلى قلبـك الـران الـذي قـد تحكَّـما
وعاديت بـل واليـت فيهـا ولم تخـف عواقـب مـا تجنـي ومـا كـان أعظـما
أغرَّتــك دنيــاك الدنيــةُ راضــياً بزهرتهـا حتـى أبحـت المحرَّمـا(٥)
تــروق لــك الــدنيا ولــذَّاتُ أهلهــا كـأنْ لم تـصر يومـاً إلى القـبر مُعْـدَمَا

---

(١) أقفر رسمه: زالت معالمه.

(٢) الثغر: الموضع يخاف هجوم العدو منه. جُثَّماً: ملازمين المكان لا نبرحه.

(٣) فيؤوا: ارجعوا.

(٤) جفا: غلظ أو ساء خُلُقُه.

(٥) الدَّنيُّ: الساقط الضعيف.

خلياً مـن المـال الـذي قـد جمعتـه | وفارقت أحبابـاً وقـد صرت أعْظُـما
ولَّمـا تقــدِّم مــا ينجّيــك في غــدٍ | من الدين ما قد كان أهـدى وأسـلما
وذاك بـــأن تـــأتي بـــدين محمـــدٍ | وملـــةِ إبـــراهيم إن كنـــت مـــسلما
تـوالي عـلى هـذا وترجـو بحـبهم | رضى الملـك العـلام إذ كـان أعظـما
وتُبغض من عادى وترجو ببغـضهم | مـــن الله إحـــساناً وجـــوداً ومَغْـــنَما
فهـذا الـذي نـرضى لكـلِّ موحِّـد | ونكـــره أســـباباً تُـــرِدْهُ جهـــنَّما
وصـــلِّ إلهـــي مـــا تـــألَّق بـــارقٌ | على المصطفى مَـنْ كـان بـالله أعلـما
وآلٍ وأصـــحابٍ ومَـــنْ كـــان تابعـــاً | وتابعهم مـا دامـت الأرض والـسما

ولما وصلت رسالة ابن سحمان إلى طلاب العلم في القصيم؛ اعترض بعضهم عليها برسالة، وفي آخرها سؤال موجه لأئمة الدعوة، وعلى وجه الخصوص آل الشيخ، لقبول قولهم عند الخاص والعام في نجد وما جاورها، ولما وصلت الرسالة إلى الرياض؛ أجاب عليها علامة زمانه ومفتي البلاد النجدية عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ رحمهم الله أجمعين، بجواب بيَّن فيه مجانبة السائل للصواب، وأن الحق ما قاله وذهب إليه ابن سحمان، فلما وصلت رسالة الإمام عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ إلى القصيم وعُرف ما تضمَّنته اعترض عليها ابن عمرو برسالة عنوانها بـ «القول الرائض»، ويعرِّض فيها بمن قبل رسالة الإمام عبدالله، ولم يخالفه؛ من طلبة العلم في القصيم، حيث قال: «**وبعد**: وقفت على رسالة لرجل من أهل العارض يقال

له سليمان بن سحمان فيها من المجازفة ما يعرفه كل عاقل، فضلاً عن العالم، ورسالة إليه ممن أرسل إليه سليمان الأولى، فيها بعض الإشارة إلى تخطئة سليمان، وفي آخرها سؤال مقصود صاحبه بيان ما اغتر فيه سليمان من تكفير من أجاز السفر إلى بلاد المشركين...».(١)

«ثم بعد ذلك رأيت رسالة لرجل من أهل العارض يقال له: عبدالله بن عبداللطيف، انتصر فيها لابن سحمان، واعترض على صاحب السؤال، وأجاب عن غير سؤاله، ورأيته قد تجازف فيها، بحيث لم يكتف بالكلام في الظواهر عن الكلام في النيات والضمائر، ومع ذلك كله قبلها كثير من القراء قبولاً تاما، بحيث يضللون من ظنُّوه يعترض على شيء منها أو يكفرونه، وما ذاك إلا لكثرة الجهل، وخفاء العلم، فلأجل ذلك أحببت أن أنبه على بعض ما ينبغي التنبيه عليه منها...».(٢)

وبعد ظهور رسالة ابن عمرو تصدَّى له العلامة ابن سحمان بكتابة هذا «الجواب الفائض لأرباب القول الرائض».

---

(١) «الجواب الفائض»، (ص٥٠).

(٢) المصدر السابق (ص٧٢).

فالكتاب نقض لرد ابن عمرو في اعتراضه على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في دفاعه عن ابن سحمان. والمخطوط بحجمه الكبير، يدور حول الإقامة بين أظهر المشركين، والسفر إلى بلاد المشركين، وما تفرَّع عن هذه المواضيع؛ من إظهار الدين، وبما يتحقق، وتحديد بلاد الشرك وبلاد الإسلام، ونحو ذلك، وفيه تكرار كثير يلحظه القارئ من أدنى تصفح، **وأشار إلى ذلك ابن سحمان بقوله**: «وقد تكرر بعض الكلام في هذه الأوراق لتكرير المعترض الشبهة في ذلك، فاحتجنا إلى نقض ما موَّه به، ولمسيس الحاجة إلى ذلك».[1]

قلت: وقد قام الأخ فهد العرجاني ـ حفظه الله ـ بتحقيق كتاب «الجواب الفائض»، عام ١٤٢٧هـ؛ ونال به درجة الماجستير من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية في المدينة النبوية.

الرد الثاني: «الجيوش الربانية في كشف الشُّبه العمروية»ـ وهو ما أقوم بتحقيقه[2] ـ، وسبب تأليفه أن ابن عمرو اعترض على قصيدة الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ التي قالها في الرد على رجل من أهل الأحساء يزعم أنه يُظهر دينه بالحب في الله، والبغض في الله، والموالاة فيه، والأمر بالمعروف

---

(١) الجواب الفائض ـ مخطوط ـ، (ص١٤٣)، عن رسالة: «الشيخ ابن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة»، (ص١٣١-١٣٢).

(٢) اعتماداً على نسخته المحفوظة بمكتبة الحرم المكي، برقم (١٨/٤٢٤٢)، بخط: عبدالعزيز بن إبراهيم الدوسري، عام ١٣٦٨هـ، وعدد أوراقها (١٢) ورقة، ويجد القارئ صورة للورقة الأولى والأخيرة منها في خاتمة الكتاب.

والنهي عن المنكر، وكان كاذباً في ذلك الزعم؛ فأجابه الشيخ بقوله:(١)

علماً بأن النقل نقل ثابت ... جاءت به الأخبار والسُّفَّار
والزعم ليس بقيلِ واشٍ كاذب ... بل نقل عدلٍ ليس فيه عُوار(٢)
هذا وقد أمعنتُ فيما قلتَه ... نظراً فلم تخدعني الأعذار
بل قد ثنيتُ أعنَّةً قد زَمَّها ... أهل التقى الأخيارُ والأطهار(٣)
ولقد أتى ما صح عنهم أنه ... إن لم يهاجر من لديه يسار
قد قارف الذنب الكبير وإنما ... مأواه في يوم الجزاء النار
فارجع لربك تائباً متضرعاً ... واسأله عفواً إنه غفار
واعلم بأن الظلم والظُّلَم التي ... قد شادها الإصرار والآصار
في هذه البلد الذي أنتم به ... والحكم بالقانون والأوزار
فيها شهير ظاهر لا يختفي ... إلا على من غَرَّه الغرار
وبها اللواطُ لدى العساكر والزنا ... والخمرُ والتنباك والزَّمَّار
والرفض عندكم رخيصٌ سعره ... إظهاره ما إنْ له إنكار
والله حرم مكثَ من هو مسلم ... في كل أرض حلها الكفار

(١) ديوان ابن سحمان، (١/ ٣١٩-٣٢١).

(٢) الواشي: النمام. العُوار: العيب.

(٣) الأعنة: جمع عنان يعني الزمام. زَمَّه: شدَّه، والمعنى أنه اختصر حجج أهل التقى فثناها.

ولهم بها حكم الولاية قاهر ... فاربأ بنفسك فالمقام شَنَار (١)
وانظر حديثاً في البراءة قد أتت ... نقلَ الثقاتُ رواتُه الأخيار
فيه البراءة بالصراحة قد أتت ... من مسلم وكذلك الآثار
قد صرحتْ فيمن أقام ببلدة ... مستوطناً وولاتُها الكفار
والمرء ليس بمظهرٍ للدين بل ... للمكث في أوطانه يختار
إلا الذي هو عاجز مستضعف ... فالنصُّ جاء بعذره لا العار
والحبُّ والبغض الذي هو ديننا ... وعداوةٌ في الله وهي عيار (٢)
وكذا الموالاة التي لجلاله ... إن أمعنتْ في ذلك الأنظار
أمرٌ محال في ولاية مَنْ طغى ... لو كان حقاً ما دهاك قرار
أو ما سمعتَ بقيلهم لنبيهم ... والمؤمنين أولئك الفجار
فانظر إلى الأعراف إذ قالوا له ... أعنى شعيباً قومُه الأشرار (٣)
وانظر إلى ما قال في الكهف الذي ... فيه البيان لمن له إبصار (٤)

---

(١) الشنار: العار.

(٢) عيار: ميزان عدل.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٨].

(٤) ربما يقصد قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦]. وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٠].

أو ما ترى أن القلوب إذا امتلت ... حباً وإيماناً لها أنوار
ولها بذلك غيرة فتغار من ... رؤيا المعاصي والسعيد يَغَار
واحذر مقالة جاهلٍ إذ غَرَّه ... من جهله الأعراض والغرار(1)
إذ قال نظهر ديننا جهلاً ولم ... يدري الفتى المسكين ما الإظهار
فاسمع إذاً إظهاره عن ظاهر الـ ... قرآن بل جاءت به الآثار
إظهار هذا الدين تصريحٌ لهم ... بالكفر إذ هم معشرٌ كفار
وعداوة تبدو وبغض ظاهر ... هذا هو الإظهار والإنكار
والله ما هذا لديكم ظاهراً ... يا للعقول أما لكم إشعار
هذا وليس القلبُ كافٍ بُغضُه ... والحبُ منه وما هو المعيار
لكنَّما المعيار أن تأتي به ... جهراً وتصريحاً لهم إذ جاروا
فاسأل إلهك راغباً متضرعاً ... أن لا يضلك بالهوى الغَرَّار
واسأله في غسق الليالي والدجى ... أن لا يصدَّك عن هداك شِرار
وعلى النبي وصحبه والآل ما ... هب النسيم وماضت الأنوار(2)
أزكى الصلاة مع السلام هدية ... ما انهل من مغدودق أمطار(3)

---

(1) **الغرار**: الشيطان، وهو الغَرور بفتح الغين.

(2) هكذا في الأصل «ماضت»، ولعل الصواب: وناضت، أو: وضاءت.

(3) **مغدوق**: كثير القطر.

فلما اعترض ابن عمرو على هذه القصيدة بأنه يفهم منها نفي الإسلام عمن أقام في ولاية من طغى؛ ألف الشيخ ابن سحمان كتابه «الجيوش الربانية»، منبهاً على معاني القصيدة؛ وموهماً أن الكتاب «الجيوش..» لغيره ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ؛ مع بيان موضوع الكتاب، وأنه لا يختلف عن سابقه: «الجواب الفائض».

الرد الثالث: الرد على ابن عمرو، وسماه بعضهم: «التبيان في القول المنيف في الرد على ابن عمرو»، **وسبب تأليفه**: أن ابن عمرو ظن أن كتاب «الجيوش الربانية» للشيخ إبراهيم بن عبداللطيف ـ رحمه الله ـ ؛ فكتب رداً وضح فيه أن دفاع من دافع عن الشيخ ابن سحمان لا يجدي شيئاً، وأكد على ما قاله في رسالته السابقة من أن مفهوم منظومة ابن سحمان هو: نفي الإسلام عمن أقام في ولاية من طغى؛ **وعلى هذا**: فابن سحمان ينفي الإيمان عن أولي العزم من الرسل! لأنهم أقاموا في ولاية من طغى، وكذلك يُكفر من يقيم في بلاد المشركين.

عندها كتب ابن سحمان رده «التبيان..» ناقضاً فيه كلام ابن عمرو، وموضحاً أن منظومته لا يُفهم منها نفي الإسلام عمن أقام في ولاية من طغى، وتكفير من يقيم في بلاد المشركين، بل الذي نفاه هو خصلة واحدة، قال إنها لا توجد في بلاد المشركين وقت القصيدة، وهي: الحب في الله، أو

الولاء والبراء والتصريح به، ولكن سوء فهم ابن عمرو للأبيات، وعدم تفريقه بين محبة الله التي هي شرط في الإيمان، والحب في الله، هو الذي جعله يفهم هذا الفهم الخاطئ.

أما عن سبب إيهام ابن سحمان ـ رحمه الله ـ أن كتاب «الجيوش الربانية» ليس له، فقال عنه في مقدمة كتابه: «فقد تأملت ما كتبه عبدالله بن عمرو من الرد على ما كتبناه جواباً على ما بهرج وموه به على المنظومة التي كتبتها سنة خمس وثلاث مئة وألف؛ لما سألني بعض الإخوان أن أكتبها جواباً على رسالة وأبيات وردت عليه من رجل من الأحساء يزعم فيها ـ لما ناصحه عن المقام بين أظهر المشركين ـ أنه يُظهر دينه بالحب في الله والبغض في الله والمولاة فيه والمعاداة فيه، وهو في ذلك الزعم كاذب، لأنه ممن يركن إلى أعداء الله ويواليهم ويجالسهم.

ثم لما كان في هذا الزمان تبين هؤلاء الذين انقدحت في قلوبهم الشبهات وتلقوها من كتب أهل الجهالة والضلالات؛ بالقدح في الإخوان والتضليل والتجهيل، والرد عليهم من غير برهان ولا دليل، وإباحة الإقامة بين أظهر المشركين ومخالطتهم من غير إنكار عليهم.

وهم أناس من أهل القصيم، وكان زعيمهم فيها عبدالله بن عمرو، وهو

المتصدي للرد وإلقاء الشبهات، والتحلي بحلية البهت والمكابرة في الحسيات.

وقد نسب هذا المعترض ما كتبته من الجواب على اعتراضه إلى إبـراهيم ابن الشيخ عبداللطيف، من غير تثبت في ذلك، وعلى غير يقين من أمـره، بـل عـلى التخـرص والكـذب كـما قـال تعـالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٦]، و[سورة يونس: ٦٦].

وهذه هي حاله في غالب اعتراضاته، إنما يبني أمره على الظن وعلى ما يفهمه، لا على ما هو مسطور واضح بيِّن ظاهر من كلام خصمه، لأنه لا يخاف الله ولا يتقيه، وليس من العلماء، وإنما يخشى الله من عباده العلماء.

وهذه الرسالة التي ينسبها لإبراهيم؛ أنا الذي كتبتها، ولكني أوهمت من نظر فيها أنها لغيري؛ لأسباب اقتضت ذلك، فظن هذا الغبي أن الذي كتبها إبراهيم، فاعترض عليها بما ستقف عليه إن شاء الله... **ـ إلى أن قال ـ:**

«وقال: «وقوله ولم يكفه هذا حتى وصف ابن سحمان بحماية حمى الإسلام.

فالجواب: أقول: سبحان الله ما قال ذلك إبراهيم، **وإنما قلته أنا لأسباب:**

أحدهما: أني لم أقل ذلك على سبيل التحقق بهذا العمل والافتخار به،

ولكني أخبر عن أمر واقع فعلته لله، وفي الله، نصرة لدينه ورسوله عن عبث صعافقة لا علم ولا حلم.

السبب الثاني: إيهام من نظر فيها أنها لغيري خشية أن يسعى بي هو وأصحابه كما سعوا بنا أولاً وشكونا، حتى لطف الله بنا.

السبب الثالث: أنه قد ذكر أهل العلم أن للإنسان أن يذكر عن نفسه ما يعلمه ويجهله غيره، إذا احتاج إلى ذلك، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح على قوله ﷺ: «ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً»[(١)].

وكما ذكره ابن القيم ـ رحمه الله ـ على قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: آه إن ها هنا لعلماً لو أصبتُ له حملة[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨١). وقال الحافظ عند ذكر فوائده: «وفيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة؛ كخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك، ولا يكون ذلك من الفخر المذموم». (فتح الباري: ٦/ ٢٩٣).

(٢) حيث قال ـ رحمه الله ـ في «مدارج السالكين»، (٣/ ٤٢٤): «ذكر أيضاً في هذه الدرجة ثلاثة أمور: الافتخار والسلوك والقبض؛ فالافتخار نوعان: مذموم ومحمود؛ فالمذموم:؛ إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفعاً عليهم، وهذا غير مراد، والمحمود إظهار الأحوال السنية والمقامات الشريفة بوحاً بها؛ أي تصريحاً وإعلاناً، لا على وجه الفخر، بل على وجه تعظيم النعمة والفرح بها، وذكرها ونشرها، والتحدث بها، والترغيب فيها، وغير ذلك من المقاصد في =

وقد ذكر القحطاني في نونيته عن نفسه وما من الله به عليه من إغاظة أعداء الله ورسوله وحمايته حمى الدين وأهله ما لم أبلغ من ذلك عشر معشاره(١).

إظهارها؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»، وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنا أول من رمى بسهم في سبيل الله، وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد أتى علي كذا وكذا وإني لثالث الإسلام، وقال علي رضي الله عنه: إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق، وقال عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث، وقال علي رضي الله عنه ـ وأشار إلى صدره ـ: إن ههنا علماً جماً لو أصبت له حملة،وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أخذت من فيّ رسول الله سبعين سورة، وإن زيداً ليلعب مع الغلمان، وقال ـ أيضا ـ: ما من كتاب الله آية إلا وأنا أعلم أين نزلت، وماذا أريد بها، ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل؛ لرحلت إليه، وقال بعض الصحابة: لأن تختلف فيَّ الأسنة أحب إليَّ من أن أحدث نفسي في الصلاة بغير ما أنا فيه، وهذا أكثر من أن يُذكر».

(١) وذلك في قوله:

والله صيرني عليكم نقمة ... ولهتك ستر جميعكم أبقاني
أنا في حلوق جميعهم عود الشجا ... أعيى أطبتكم غموض مكاني
أنا حية الوادي أنا أسد الشرى ... أنا مرهف ماضي الغرار يماني
يا أشعرية هل شعرتم أنني ... رمد العيون وحكة الأجفان
أنا في كبود الأشعرية قرحة ... أربو فأقتل كل من يشناني
ولقد برزت إلى كبار شيوخكم ... فصرفت منهم كل من ناواني

=

وقد أغظت بحمد الله ومنته أناساً كثيراً ممن شرق بهذا الدين، وأرادوا خرق سياج حصنه الحصين، ومن جملتهم هؤلاء الحمقاء، فللّه الحمد والمنة.

وحميت حمى الإسلام بتهجين ما لفقوه من الشبهات وإبطالها وردها: من إباحة ما حرم الله ورسوله من الإقامة بين أظهر المشركين من غير إظهار للدين، على حسب قدرتي ومبلغ علمي». [1]

وقلبت أرض حجاجهم ونثرتها ... فوجدتها قولا بلا برهان
أشعرتم يا أشعرية أنني ... طوفان بحر أيما طوفان
أنا همكم أنا غمكم أنا سقمكم ... أنا سمكم في السر والإعلان
إني بحمد الله عند قتالكم ... لمحكم في الحرب ثبت جنان
وإذا ضربتُ فلا تخيب مضاربي ... وإذا طعنتُ فلا يروغ طعاني
وإذا حملتُ على الكتيبة منكم ... مزقتها بلوامع البرهان
الشرع والقرآن أكبر عدتي ... فهما لقطع حجاجكم سيفان
ثقلا على أبدانكم ورؤوسكم ... فهما لكسر رؤوسكم حجران
أنا تمرة الأحباب حنظلة العدا ... أنا غصة في حلق من عاداني
وأنا المحب لأهل سنة أحمد ... وأنا الأديب الشاعر القحطاني

(١) الرد على ابن عمرو، (ص١-٦).

قلت: وقد أشار الشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ إلى ردوده على ابن عمرو في كتابه «منهاج أهل الحق والاتباع»، حيث قال رداً على الغلاة الذين طعنوا في العلماء:

«**وأما قولهم:** والمشايخ يرخصون ويبيحون السفر إلى بلاد المشركين.

فالجواب أن نقول: قد كان من المعلوم عند الخاصة والعامَّة أن هذا من أعظم الكذب والفرية على مشايخ المسلمين، أنهم يبيحون السفر إلى بلاد المشركين، ومن نقل هذا عنهم فقد أعظم الفرية عليهم.

فإن كان مراد هؤلاء الذين شبهوا على عوام المسلمين بهذه الشبهات أن السفر إلى بلد الأحساء بعد أن أخرج الإمامُ الدولةَ الكفار منها مباح، فهذا لا شك فيه، لأنها صارت دار إسلام، بعد أن كانت دار كفر، لجريان أحكام أهل الإسلام على أهلها، والغَلبة والظهور فيها لأهل الإسلام على من كان فيها ممن ظَاهَرَ أهل الكفر من الروافض وغيرهم، كما نص على ذلك العلماء قديماً وحديثاً.

وإن كان مرادهم أن السفر إلى بلد الأحساء وإلى بلد الكويت مثلاً مباح حال ولاية الكفار عليها، وأن المشايخ إذ ذاك يبيحون السفر إليها، فقد كان من المعلوم أن المشايخ من أعظم الناس تحريماً لهذا السفر، وأن ذلك عندهم من أكبر الكبائر، ولا يبيحون السفر إليها، إلا لمن كان قادراً على إظهار دينه، مع عدم الانبساط إليهم والتلطف لهم. وإظهار الدين عندهم هو التصريح

لأعداء الله بالكفر ومبادأتهم بالعداوة والبغضاء، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

ثم إنه قد كان من المعلوم عند جميع المسلمين ما جرى بيننا وبين أعدائنا ممن خالفنا، وأباح السفر إلى بلاد المشركين من أهل القصيم: كمثل عبدالله بن عمرو وابن جاسر وأتباعهم، في حال ولاية آل رشيد من المخاصمات والمحاورات، ورد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف عليهم لما كابروا في ذلك برسالة مشهورة بيَّن فيها ضلالهم، وأدحض حججهم، فأجابه ابن عمرو عليها بجواب لا يقوله من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعلم أنه موقوف بين يديه مسئول عنه، فأَجَبْتُهُ على ذلك بنحو من خمسة عشر كراساً، وجواب آخر قدر تسعة كراريس، وأجابهم الشيخ إسحق ابن الشيخ عبدالرحمن بن حسن على مسائل أوردوها عليه في هذا المعنى بنحو من ثلاثة كراريس.

فمتى أباح المشايخ السفر إلى بلاد المشركين والحالة هذه، وقد كان تحريمه عنهم أشهر من نار على علم؟». (١)

---

(١) «منهاج أهل الحق والاتباع»، (ص١٠١-١٠٣).

ترجمة المردود عليه: عبد الله بن عمرو

قال الشيخ محمد بن عثمان القاضي في كتابه «روضة الناظرين»[(١)]: «هو الشيخ عبدالله بن علي بن عمرو، من فخذ الصمدة، من قبيلة الظفير وآل عمرو، منهم آل سلطان بالبكيرية، وآل منصور برياض الخبراء، وآل مزيد في عنيزة وبريدة، ولد في الخبراء عام ١٢٨٧هـ، ونشأ نشأة حسنة، وقرأ القرآن وحفظه تجويداً، ثم حفظه عن ظهر قلب، وشرع في طلب العلم، فرحل إلى القصيم وقرأ على علمائه، وأقام زمناً في بريدة، وتفقه على علمائها، يقول الشيخ إبراهيم بن ضويان: إنه رحل إلى الرياض، فقرأ على علمائه، ولازم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، وأدرك إدراكاً جيداً، وجلس للطلبة، وكان حسن التعليم، وسافر إلى الشام وسكن حلب، وأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى نجد، وفي سنة ١٣٢٢هـ جاور في مكة المكرمة، ولازم المسجد الحرام، وتأثر من علمائه الذين يجابهون دعوة آل الشيخ،[(٢)] فوافقهم وصار من مناوئى آل الشيخ، وألف كتابه: الرد المنيف على آل عبداللطيف، وقد تصدى للرد عليه الشيخ سليمان بن سحمان، ورد عليه أخطاءه، وقد عاد إلى نجد من الحجاز، وصار يؤلب على آل الشيخ وعلى الحكومة التي تؤيدهم،

---

(١) (١/ ٣٥١-٣٥٢) ـ بتصرف يسير ـ.

(٢) بل الدعوة السلفية.

مما كان سبباً لقتله عام ١٣٢٤هـ».

وقال الشيخ صالح العمري ـ رحمه الله ـ: «جالس العلماء في بريدة، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وعن الشيخ محمد بن عمر بن سليم، وغيرهما من العلماء، ثم إنه سافر للشام ومصر، وعاد بعد ذلك، وتنكر لمشائخه مع من تنكر من تلامذتهم، حتى آل به الأمر إلى المجاهرة في ذلك، وأظهر المخالفة للدعوة وأتباعها، ويقال بأن له رد على بعض أئمة الدعوة، وأنه أراد طبعه في مصر، فلم تقبل بعض المطابع طبعه، حدثني بذلك الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، ولما جاهر بالعداء للدعوة، وأظهر المخالفة لولي الأمر، أفتى بعض العلماء بوجوب قتله، فقُتل في عام ١٣٢٦هـ، ويقال بأنه زوَّر وثيقة على أعيان بريدة، ووضع لها أختاماً مزورة، ختم بها الوثيقة، بنقض بيعه أهالي بريدة للإمام عبدالعزيز، والانضمام إلى حماية الترك، وأن هذا من أسباب الفتيا بقتله، والله أعلم»[1].

وقال الشيخ عبدالله بن بسام ـ رحمه الله ـ: «لما قام الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بإعادة ملكهم، وتوحيد الجزيرة العربية صار المترجَم من المعارضين له، وأخذ يجاهر بذلك ويحذِّر من أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب حكومة وأفراداً، ويصف دعوته بالشدة والعنف.

---

(١) علماء آل سليم وتلامذتهم..، (٢/ ٣٥٧).

حدثني الشيخ محمد نصيف ـ رحمه الله ـ قال: اجتمعت به في مكة المكرمة عام ١٣٢٤هـ، وكان قد سمع عن معتقدي السلفي، فصار يحذِّرني من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويصفها بالعنف والشدة.

وحدثني الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ قال: كنت في القاهرة في مطبعة الحلبي فعُرض عليها كتاب المترجَم **واسمه**: (الرد المنيف على آل عبداللطيف) لطباعته ونشره، فلم توافق المطبعة على نشره خوفاً من عدم رواجه وانتشاره، وزاد الشيخ محمد بن مانع بقوله: إنني اجتمعت بالشيخ ابن عمرو ببغداد قبل مقتله بأشهر، فوجدته ناقماً على علماء عصره، خصوصاً علماء الرياض، وبحثت معه، فوجدته عالماً جدلياً، إلَّا أنه سليم العقيدة.

وقد انبرى للرد عليه وتوهين شائعاته وأخطائه الشيخ سليمان بن سحمان.

وحدثني الرجل الصالح المعمر ابن عمه راشد آل عمرو أحد رجال الحسبة في مكة المكرمة قال: إن الشيخ سافر إلى حلب، وإن الله هدى به خلقاً كثيراً، وإن معاداته للدعوة والقائمين عليها إنما هي من نزعات سياسية وأهواء فردية كان محمولاً عليها من أعداء الحكومة الناشئة ».

ـ **إلى أن قال** ـ: وصف قتله: أروي ذلك عن الشيخ محمد بن صالح بن سليم رئيس محكمة التمييز بالمنطقة الغربية قال: كان الناس يحذِّرون المترجَم

من تمكين نفسه من الإمام عبدالعزيز بن سعود، وأنه بعد أن شنع عليه وشوه دعوته نصحوه أن يختبئ عنه، ولكن الشيخ كان معتزاً بقبيلته وجماعته وأتباعه، وأن الإمام لا يجرؤ عليه مراعاة لهم، وكان قد سافر إلى بغداد، ولما عاد منها إلى بريدة وفيها الإمام عبدالعزيز بن سعود، وقبل أن يصل إلى بريدة وعند وصوله بلدة العكيريشة قرب بريدة أرسل إليه الوجيه إبراهيم بن علي الرشودي يحذره من القدوم على ابن سعود، ولكنه عاند،ولما علم ابن سعود بقربه أرسل في إثره عبدالكريم القني، فأدركه في قرية الشماسية قد اختفى في أحد منازل القرية في مزرعة لآل فوزان، فجاء به إلى الإمام؛ فطلب منه العفو والمسامحة، فذكَّره الإمام ببعض ما بدر منه، ثم أمر به إلى الرياض وأودع السجن المسمى: (المصمك)، وبعد عودة الإمام إلى الرياض أمر به فأُخرج إلى المقبرة المساة: (شلقى) المجاورة للمصمك من الشمال والواقعة قرب شارع الوزير، فحفر له في هذه المقبرة حفرة، فقتل عندها، وأهيل عليه التراب، وكان ذلك سنة ١٣٢٦هـ». (١)

وقال الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن ـ رحمه الله ـ في أحداث سنة ١٣٢٦هـ: «ذكر قتل داعية الضلال عبدالله بن عمرو آل رشيد: وذلك

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون، (٤/ ٣٢٤-٣٣٤).

بأن هذا الرجل كان لا يزال والعياذ بالله يسعى في الفتنة، وله مؤامرات ضد آل سليم وآل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فشاءت الإرادة الإلهية والقدرة الربانية[1] أن يُحمل من بريدة إلى الرياض، فقتل هناك.

وقد كان مضاداً لأهل هذه الدعوة النجدية، وما زال يسعى عند الحاكم محمد بن عبدالله بن رشيد بالكتب والرسائل، وعند عقبه عبدالعزيز بن متعب، حتى أجلى بسببه هو وشيعته من أهل النفاق والريب أناساً من العلماء، وقطعت مرتباتهم من بيت المال، وما زال يُبرم أمر الفتنة، ويهيج بالدعاية القبيحة على العلماء والطلاب، حتى استراح المسلمون منه.

وكان في بداية أمره عليه آثار الزهد والخمول، ثم إنه اتصل بعُبَّاد القبور والأوثان، وتربص بين أظهرهم، ثم قدم من تلك الأمصار يُدخل بدعته وتشكيكه، حتى اغتر به من قل دينه وعلمه، فلا حياه الله ولا بياه.

ويكفيك ما أوقعه الله به جزاء على خبث نيته، موتاً زؤاماً وكأساً علقماً مصاباً، وفرس الباغي عثور، وقد ألف العلماء كتباً في الرد عليه؛ كالشيخ سليمان بن سحمان، وسمى كتابه «الجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية»،

---

(١) هذا التعبير لا يجوز، قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ : «لا يصح أن نقول: شاءت قدرة الله؛ لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة لشيء، ولكننا نقول: اقتضت حكمة الله كذا وكذا...». (مجموع الفتاوى: ١/ ١٢٨).

وشتت الله عز وجل أهل الزيغ والريب بولاية آل سعود».[1]

وقال الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ في مذكراته: «في سنة ١٣٢٧ قتل ابنُ سعود الشيخ عبدالله بن عمرو، وكان رجلاً مبغضاً لأهل العارض، ويستطيل على مشايخهم بالذم، وعلى أمرائهم، وله ردٌّ على عبدالله بن عبداللطيف وأهل العارض، غالبه خطأ، وهذا الرجل له اسم كبير، وشهرة عظيمة عند أهل بريدة في العلم والزهد، وقد رأيته في بغداد قبل قتله بأشهر، وبحثت معه في مواضع علمية؛ فوجدت الرجل جاهلاً صِرْفاً جَدَلِياً عِنَادِياً، يذمّ العلماء والأشراف الذين يميلون إلى طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مع أن عقيدته كعقيدتهم، ولكن كراهةً لعلماء عصره.

وكيفية وقوعه في مخالب ابن سعود أنه لما توجه من بغداد وكان مجيئه إليها من الشام، قصد الكويت، ثم ظهر إلى نجد، فلما قرب من بريدة، علم بمجيئه عبدالله بن جلوي بن تركي بن سعود، وكان بها أميراً من قبل ابن عمه عبدالعزيز ابن سعود، وكان عبدالعزيز قد أمره بالقبض عليه، فأرسل رجالاً يتلقَّوْنه قبل أن يصل البلد، فأدركوه في الشَّمَاسِيّة من أعمال بريدة، فاختفى في أحد بيوتها، فتتبعوا أثره حتى وجدوه، وأرسله ابن جلوي إلى

(١) تذكرة أولي النهى والعرفان..، (٢/ ٩٠).

العارض؛ فقُتل هناك، واختُلف في سبب قتله، **فقيل**: سياسة، فإنه رجل داعية إلى إثارة الفتن وتشويش الأفكار، **وقيل**: دِيْناً، فإنه داعية إلى البدعة، ويعتقد أن أهل العارض ومن وافقهم خوارج، ويَدْعُو إلى هذا القول وأمثاله، وكان قد شقَّ عَصَا طُلَّاب العلوم في بريدة حتى صاروا حزبين، كل حزب يقذف الآخر ويرميه بما هو منه بَرِيءٌ، وكل ذلك معاداة للشيخ محمد بن سَلِيْمٍ، ـ رحمة الله تعالى عليه ـ ».[١]

---

(١) مجلة العرب، (مجلد ١٦، ص١٩١-١٩٢).

ترجمة الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ[1]

هو العالم المصنِّف، واللسان المدافع عن الدعوة السلفية سليمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي نسباً، التبالي العسيري أصلاً ومولداً، النجدي منشأً ومستقرًّا.

نزح والده من بلاده الأصلية (تبالة) إحدى قرى مدينة (بيشة)، إلى قرية (السُّقَّا) إحدى القرى التابعة لمدينة (أبها) عاصمة بلاد عسير، فوُلد الشيخ سليمان في هذه القرية (السقا)، وذلك عام ١٢٦٩هـ، وقيل: ولد سنة ١٢٦٦هـ في بلدة آل تمام القده، شرقي السقا بناحية أبها عسير.

وكان أبوه سحمان بن مصلح من آل عامر أحد بطون الفزع، وليس من قبيلة آل عامر النخعية ببيشة، وكانت قبيلته تقطن تبالة ثم بيشة، وكان أحد قادة الأمير عايض بن مرعي، كما كان من قبل من قادة الأمير علي بن مجثل،

---

(١) عن «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله البسام ـ رحمه الله ـ (٢/ ٣٩٩-٤١٢). وقد ترجم للشيخ ابن سحمان كثيرون. ومن أهم تلك التراجم ـ في نظري ـ: ترجمة كتبها تلميذه الشيخ سليمان بن حمدان ـ رحمه الله ـ (سيأتي بعضها ـ إن شاء الله ـ)، ورسالة «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة» للشيخ محمد بن حمود الفوزان، وما كتبه الدكتور عبدالله الحامد في رسالته الجامعية: «الشعر الحديث في الجزيرة العربية».

حيث كان يرابط في تبالة، وتمكن من اقتحام الطائف بعد معركة (جلدان) التي انتصر فيها على الأشراف، وذلك في نهاية عام ١٢٦٢هـ، وبعد ذلك استقدمه عايض بن مرعي إلى أبها ليكون أميناً على بيت المال، وليعمل في الوعظ والإرشاد وتدريس الأمور الدينية، واستخلف مكانه في تبالة أخاه مسفر بن مصلح، وبعد ما ضُمَّت الأفلاج ووادي الدواسر إلى عسير، بقي فيها حتى مات في عام ١٢٤٩هـ، وأثناء إقامة القائد سحمان في أبها ولد له ابنه الشاعر سليمان بن سحمان.

وهكذا نشأ المترجَم في بلدة السقا، وتربى في حجر والده، الذي هو من حفاظ القرآن ومن الخطاطين، كما أن له يداً في مبادئ العلوم، فصار يلقن ابنه القرآن الكريم ويدرِّبه على حسن الخط، ويعلمه مبادئ العلوم الشرعية والعربية، وذلك في ولاية محمد بن عائض بن مرعي على بلاد عسير، ثم نزح والده إلى الرياض ـ عاصمة البلاد السعودية ـ وقد استقرت يومئذٍ نجد بولاية الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، حيث طهر البلاد النجدية من العساكر العثمانية الغازية، فحل في الرياض ضيفاً، فآواه الإمام فيصل وأكرمه ورتب له ولعائلته ما يقوم بكفايتهم، فوجد الرياض زاهية بحلقات العلم ومشرقة بنور المعرفة التي ينشرها الإمام عبدالرحمن بن حسن وابنه العلامة عبداللطيف، فشرع المترجَم بالقراءة عليهما، وملازمة دروسهما، وجدَّ واجتهد في التحصيل.

وبعد وفاة الإمام فيصل وابتداء الفتنة بين ابنيه عبدالله وسعود اختار والد المترجَم الإقامة في الأفلاج، فانتقل ومعه ابنه إلى بلدة العمار من بلاد الأفلاج، فأقام فيها، وقاضيها ومفتيها يومئذٍ الشيخ حمد بن عتيق، فشرع في القراءة عليه ولازمه نحو سبعة عشر عاماً، قضاها في تحصيل العلم.

وبعد وفاة الشيخ حمد عام ١٣٠١هـ عاد المترجَم إلى الرياض، وكان زعيم الدعوة السلفية رئيس علماء نجد يومذاك العلامة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، فشرع في حضور دروسه، والاستفادة منه استفادة زميل من زميل أقدر منه.

وكان أعداء الدعوة السلفية في ذلك الحين قد أحسوا بضعفها بسبب ضعف أنصارها آل سعود، الذين أذهب حكمهم الشقاق والخلاف، ولمسوا لينها، فصاروا يوجهون إليها سهام نقدهم وسموم حقدهم، وكان الشيخ سليمان يومئذٍ قد صلب عوده في العلم، وقوي عضده في النضال، واعتدل قلمه في الكتابة، واستقام لسانه في الإنشاء، مما قرأه وحفظه من كلام العرب، ومما حرره من رسائل وردود الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، الذي ظل زماناً يستكتبها ويستمليها، فجرد قلمه للرد على هؤلاء المغرضين، ولسانه برائع الشعر على المارقين، فصار يكيل لهم الصاع صاعين، بقوة الكلام، وسطوع الحجة، وصحة البرهان، فيدحض أقوالهم، ويرد شبههم، ويوهن

حجتهم، كما يرميهم بشهب من قصائده الطنانة، وأشعاره الرنانة، وقوافيه المحكمة، وأبياته الرصينة، وبهذا؛ فهو ذو القلمين، وصاحب الصناعتين، وقلَّما اجتمع النثر والشعر لواحد، إلا لنوابغ الكُتَّاب وأصحاب الأقلام، فصار لسان هذه الدعوة، ومحامي هذه الملة، فكان من هذه الردود القاطعة، والحجج الدامغة هذه المؤلفات الساطعة؛ وهي:

١- الأسنة الحداد في الرد على علوي الحدَّاد.

٢- الصواعق الشهابية على الشبه الشامية.

٣- الضياء الشارق على شبهات المارق.

٤- إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل.

٥- تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المستهجنة الوخيمة.

٦- كشف الالتباس عن تشبيه بعض الناس.

٧- تبرئة الإمامين من تزوير أهل المَيْن.

٨- الهدية السنية.

٩- نظم اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٠- إرشاد الطالب إلى أهم المطالب.

١١- ديوان شعر حوى غرر القصائد والنظم.

وله غير ذلك من الكتب والمؤلفات والرسائل، التي غالبها يدور على

الرد على المخالفين، ودفع شبهات الجاحدين من أعداء الدعوة التي نادى بتجديدها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وورثها عنه أبناؤه وأحفاده وتلاميذه، وأيدها الله بقوة وبسالة المغاوير الميامين من آل سعود، حتى ظهرت وتوطدت، وعمَّت أرجاء الجزيرة العربية، ثم شعَّ سناها في أطراف المعمورة، فلا تجد قطراً إلا ولها فيه أنصار وأعوان.

وقد كُف بصره عام ١٣٣١هـ، إلا أن بصيرته ما زالت حية نيرة متوقدة، وله رسائل وفتاوى مطبوعة مفرقة ضمن رسائل وفتاوى علماء نجد، كما أنه هو الذي رتَّب وبوَّب رسائل وفتاوى شيخه العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، وجعل لها مقدمات وتراجم.

تلاميذه:

١- الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.

٢- الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ.

٣- الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد.

٤- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم.

٥- الشيخ إبراهيم بن حسين.

... وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم.

والقصد أن له اليد الطولى والقِدَح المعلّى في التأليف والرد والرسائل

والقصائد، وكل ذلك يدافع عن الشريعة المحمدية والملّة الحنيفية، والعقيدة السلفية، حتى عُدّ بذلك من أكبر المجاهدين بألسنتهم وأقلامهم.

وبقي على هذه الحالة الحميدة، والأقوال السديدة، حتى توفاه الله تعالى في مدينة الرياض عام ١٣٤٩هـ. رحمه الله تعالى.

وقد دُفن في مقبرة العود بين قبري الشيخ عبداللطيف وابنه الشيخ عبدالله. رحم الله الجميع، وتأسف الناس لفقده، وكلهم يلهج بالثناء والترحم عليه، وقد رثي بقصائد وتبودلت في تعازيه الرسائل، ونختار من تلك القصائد مرثية الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل:

ما بال دمعك يهمي طول أزمان	وأنت دايم أشجان وأحزان
والقلب منك نبا والهم متقد	كأنه مِرجَل من فوق نيران
تنوح طول الدياجي من أسى وضنى	قد طال ما أرقاك نوح ثكلان
كم ليلة بِتَّها ترعى النجوم بها	لم تغتمض قط منك الليل عينان
أذاك من ذكر عهد للصِّبا سلفت	أيامه عند أهل الرند والبان
أم من تذكر غزلان بذي سَلم	حور العيون كياقوت ومرجان
لا والإله الذي لم تخف خافية	عليه علام أسرار وإعلان
ما إن ذكرت ولم أذكر وما سفحت	عيناي من ذكر أطلال وجيران
بل من تذكر شيخ عالمٍ عَلمٍ	حَبرٍ تقيٍ من الأحبار رباني

إلى أن قال:

علَّامـــة عُلمـــت حقًّـــا فـــضائله بحر العلـوم سليمان بـن سـحمان
من فـاق في الفهـم والتوحيـد مـع لغـة والنحـــو ثـــم تفاســـير لقـــرآن
وفي الأحاديـــث والآداب مـــع ســـير والـنظم والنثـر حقًّـا كـل أقـران
نــال العــلى فَعَــلَا فــوق الــذرى رُتبــاً حتى سمى في سما مجـد وعرفـان
لــــسانه صــــارمٌ في شـــعره فلقـــد أعـــاد في وقتـــه إنـــشاد حَـــسَّان
يُـــذكر النـــاس قـــساً في خطابتـــه وفي بلاغتــه وضـــعاً لـــسُحبان

إلى أن قال:

وانظـــر فوائـــد في البـــستان ألفهـــا مثل الفواكه بل أحلى لـدى الجـاني
واقـــرأ رســـائل في التوحيـــد أرســـلها بـــرًّا وبحـــراً وفي ســـكان بلـــدان
وســـل خبـــيراً بـــه ينبيـــك عنـــه وقـــل لله در ســـــليمان بـــــن ســـــحمان

كما رثاه الأديب الفاضل حمد بن محمد بن جاسر فقال:

قــــضاء لا يطــــاق لــــه مــــردُّ وأمـــر نافـــذ مـــا منـــه بـــدُّ
وهـــل يجـــدي التأســـف لـــو تناهـــا بنفـــع أو بـــه قـــد نيـــل قـــصدُ
ولكــــن الـــــصبور ولـــــو تـــــسلى سـيغلب صـبرَه الخطـبُ الأشـدُّ
وهـــل خطـــب كخطـــبٍ منـــه كـــادت كـــشدة وقعـــه تنهـــار نجـــدُ
بـــــه فُقـــــدت فخـــــاراً لا يـــــضاها ومجـــــداً ســـــامياً لا يـــــستردُّ

وحالفهـــا خمـــول مـــستمر ... وحـالف أهلهـا حـزن وسـهدُ

هـدى وكتـاب قـد رفعـا علاهـا ... فهـل يرجـى لهـا التقـويم بعـدُ

وأصـــبح نيِّراهـــا في خفـــاء ... يـضمهما عـن الأنظـار لحـدُ

فأضـــحت في ظـــلام مكفهـــر ... ومنهـا النـورِ قِـدْما كـان يبـدو

مـــضى عنهـــا ســـليمان محـــشا ... يـؤم إمامـه قـد سـار سـعدُ

فأضـــحى العلـــم بعـــدهما يتـــيماً ... يحاربـه كثـير وهـو فـردُ

وأضـــحى الـــدين بعـــدهما مهـــان ... يـروم لكيـده أشِر ووغـدُ

همـــا ســـيفان مـــا لهـــما نظـــير ... لنـصر الـشرعة الغـرا يعـدُ

همـــا حَـــبران أهـــل تقـــى وعلـــم ... يـزيِّنهما لـدى العلـماء زهـدُ

ففـــي حـــل العـــويص إذا تعـــامى ... إذا قـصداً لـه لم يكـب زنـدُ

وفي قمـــع الكفـــور بـــنص وحـــي ... صريـح منهما مـا فـلَّ حـدُ

وفي الإفتـــاء إن قـــالا بقـــول ... حـوى التوفيـق قـولهما الأسـدُ

وجـــازا للـــصواب بـــلا نـــزاع ... يُقـر بـذاك خـصمُهما الألـدُ

* وللمترجم ثلاثة أبناء هم: عبدالعزيز، وصالح، وعبدالله. وله من أبنائه الثلاثة أحفاد، وهم من أهل الصلاح والتقى، وبعضهم من أهل العلم. رحمه الله تعالى.

ولابنه صالح بعض المؤلفات مثل: «ملتقى الأنهار من منتقى

الأشعار»، وله: «التقويم المبتكر المصفَّى الأوفى»، وله: «مجموع النفائس الشعرية والغرائب الشهية»، اشترك فيه مع غيره، وكلها مطبوعة.

ونعيد سيرة المترجَم بقلم د. عبدالرحمن العثيمين لمزيد الفائدة، فقد قال:

قال الشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله: هذه الترجمة للشيخ سليمان بن سحمان:

هو الشيخ الإمام الجليل الفاضل النبيل، العالم العلامة، بقية أهل الاستقامة، جامع أشتات الفضائل، وقدوة الهداة الأماثل، صاحب الفضائل والمكارم، ومن لا تأخذه في الحق لومة لائم، سيف الله المسلول على من حاد عن شريعة الرسول، حلّال المعضلات، ومجلي رحى المشكلات، قامع المشركين والمبتدعين، الورع الزاهد العابد المجاهد، ذو القلم السيال، والنظم الذي هو أرق من العذب الزلال، قريع الزمان وفائق الأقران، الشيخ سليمان بن سحمان. اهـ.

وحدَّثني ابنه الشيخ صالح رحمهم الله جميعاً قال: هو سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الفزعي الخثعمي، وقد وجه أحد أبناء آل الشيخ سؤالاً إلى سماحة الشيخ سليمان يسأله عن نسبه فقال:

سليمان سحمان وسحمان مصلح ومصلح حمدان وحمدان مسفر
أولئك أجدادي سلالة عامر إلى خثعم يُعزى وبالخير يُذكر

مولده:

ولد الشيخ سليمان بن سحمان في آخر عام ١٢٦٩هـ في قرية السُّقا ـ بضم السين المهملة مشددة بعدها قاف فألف ـ وهي قاعدة بني مغيد، ومقر أسرة آل معيض، وبني مغيد: إحدى قبائل عسير بالسراة، أقرب مدينة لها هي مدينة: أبها، ويربطها بها طريق معبد بطول ١٥ كيلاً، وتقع عن أبها إلى الغرب، وفي تقاطع خطي العرض ٥/ ٢ ـ ١٨ شمالاً، والطول ٤ـ٤٢ شرقاً، وترتفع عن سطح البحر بـ(٣١٣٣) متراً، حيث أعالي قمم جبال عسير الشامخة، وفي غربها تقع السودة أعلى قمة في السراة.

نشأته:

نشأ الشيخ سليمان في أحضان والده سحمان الذي علّمه القرآن، حتى حفظه عن ظهر قلبه، ولما بلغ سن الحادية عشرة، اصطحبه والده وهاجر به إلى الرياض وذلك عام ١٢٨٠هـ، وفي عام ١٢٨١هـ ابتدأ بالقراءة على الشيخ عبدالرحمن بن حسن، مجدد الدعوة الثاني، وعلى ابنه الشيخ عبداللطيف آل الشيخ، ولازمهما ملازمة تامّة دامت عشر سنوات.

وبعد ذلك سافر مع والده الذي هاجر من الرياض، ونزل في قرية العمار في الأفلاج، فرحَّبوا به وبأبيه العالم المقرئ لكتاب الله، وواصل سليمان تعليمه على علامة الأفلاج الشيخ: حمد بن عتيق، ومعه زميله في العلم والتعليم عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، حتى توفي الشيخ حمد عام ١٣٠١هـ كما توفي الشيخ سحمان والد المترَجَم في ذلك العام، فضاقت الأرض على سليمان بأسباب وفاة والده وشيخه، فطلب منه الإمام عبدالله بن عبداللطيف أن يرجع إلى الرياض ليقيم إلى جواره؛ لكونه زميله في العلم، ومحبة بعضهم لبعض في ذات الله.

فعاد سليمان إلى الرياض واتخذه الإمام عبدالله بن فيصل كاتباً له، لأنه كان خطاطاً، فلم يسعه إلا السمع والطاعة، وعيّن كاتباً للإمام، وصار يواصل دراسته مع زملائه: الشيخ عبدالله والشيخ إسحاق، ابني الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، والشيخ إبراهيم، حتى أصبح الشيخ سليمان عالماً يقتدى به.

ثم أخذ رحمه الله يرد شبه الملحدين، ويذب عن الإسلام وأهله، ولا يقول إلا الحق ولا يبالي بأحد، ولا يأخذه في ذلك لومة لائم، وكان لا يحب الخداع والتحيل، مما دعى ابن رشيد إلى أن ينقله إلى حائل، ليباعد بينه وبين الإمام عبدالله بن فيصل، وذلك عام ١٣٠٥هـ.

ولكن سرعان ما طلب الإمام عبدالله من ابن رشيد أن يرسل له كاتبه سليمان بن سحمان، فلما وصل الطلب إلى ابن رشيد، أراد أن يغنم الشيخ سليمان، وقلمه السيال، وذلك في نسخ عدد من الكتب الكبيرة الفقهية وغيرها.

فأمره أن ينسخ، فنسخ له ما أمره، وكان من ضمن ما نسخه «المحلى» لابن حزم الظاهري رحمه الله، وفصولاً من تفسير الإمام الطبري الذي كان يملكه، وكان الشيخ سليمان قد ملأ حائل بالكتب، ومن تقاه وصدقه وإخلاصه، كان يكتب بأمانة، علماً أنه مكلف ومجبر على ذلك، فأحبه الإخوان بحائل.

وفي عام ١٣٠٧هـ طلب الشيخ سليمان من الإمام عبدالله أن يعود إلى أولاده بالرياض، فأبى، فطلب منه ابن رشيد التوسط في ذلك فقال له: إذا جاء عبدالله بن فيصل يا حمود استرخص من عبدالله لسليمان ينهج لوطنه ـ أي يذهب ـ فأبى، فلزّم عليه ابن رشيد وقال: يا والدي ـ مخاطباً عبدالله ـ: نَبِيك تسمح لسليمان ينهج لوغيداته، فقال عبدالله: أرخصوا له أنتم، فقال: وجه ولدك وجه ولدك ـ مرتين ـ ثم أمر عليه ابن رشيد، فسافر مع الشيخ عبدالله وعاد معه إلى الرياض.

عقيدتـه :

هي ما كان عليه الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، وهو اعتقادنا اعتقاد أئمتنا أئمة الدعوة النجدية، الذين كان إمامهم ومقدمهم شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب، وهو ما أوضحه الله في كتابه، وعلى لسان عبده ورسوله، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرها رحمه الله في عدة قصائد مذكورة في ديوانه.

شيوخه :

١- والـده سحمان بن مصلح الخثعمي، المقرئ القارئ الفقيه الأمير القائد، وهو أول من فتح مدرسة لتحفيظ القرآن بتبالة ببلاد خثعم عام ١٢٥٩هـ، ثم فتح الثانية في (أبها) عاصمة عسير عام ١٢٦٨هـ، والثالثة في بلدة السُقا عام ١٢٧٠هـ، وشارك وعلم في مدرسة تحفيظ القرآن بمسجد الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب (بدخنة)، في مدينة الرياض، وشارك ودرس في تحفيظ القرآن بالأفلاج، ومكث على ذلك حتى توفي رحمه الله.

٢- الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٣- الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٤- الشيخ حمد بن عتيق علامة الأفلاج الفقيه الجليل.

٥- الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.

تلاميذه:

١- ابنه الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان.

٢- الشيخ عبدالعزيز بن سليمان بن سحمان.

٣- الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان.

٤- الشيخ عمر بن حسن بن حسين آل الشيخ.

٥- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ.

٦- الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.

٧- عبدالرحمن بن ناصر بن حسين.

٨- عبدالعزيز بن صالح المرشد.

وفاته:

توفي يوم الأحد العاشر من شهر صفر من سنة ١٣٤٩هـ على رأس الثمانين من عمره، بعد أن أصيب بمرض أقعده على الفراش، وصلي عليه في الجامع الكبير بالرياض، ومشى مع جنازته أهل البلد، ودفن في مقبرة العود، وصلي عليه صلاة الغائب في جميع مساجد نجد.

ولم يُخلف إلا مسكناً صغيراً، وأربعة عشر ريالاً، وذمته بريئة من الديون، غفر الله له».

الجيوش الربانية

في كشف الشُبَه العَمْرية

تأليف

الشيخ سليمان بن سحمان

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، وعليه نتوكل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحمد لله الذي أوضح المحجة للسالكين، وأقام الحجة على جميع المكلفين، أحمده سبحانه على ما منّ به من منع عداوة أعداء الدين، وأشكره على ما أولاه من قمع من ذب عن المتضمخين بأوضار المشركين، ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾[هود:١٩]،﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[المائدة: ٦٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد وقفت على رسالة بعثها بعض المنتسبين من أهل القصيم على منظومة بن سحمان، فلما تأملت ما فيها من الشقاشق والهذيان، وإذا هي بمعزل عن معرفة الصواب والعرفان.

وقد خال بما كتبه هذا الغبي بأنه قد سقط على الدرة المفقودة، فظفر بالضالة المنشودة، واستوى على الأمل بما لفقه من التمويهات وقعد، ولا حاجة لنا إلى تتبع سقطاته، ورد حموقات ورطاته، من دعواه الخبط والتخليط

والكذب على الله، وركاكة الألفاظ، إلى غير ذلك من ترهاته وجهالاته، على من حمى حمى الملة الحنيفية، والطريقة المحمدية.

وهذا المتعمق لو كانت دعواه صحيحة؛ لذكر شيئاً من ذلك، ولكن من أحالك على غائب فما أنصفك، ومن ادعى ما ليس له كذَّبته شواهد الامتحان

وكلٌ يدعي وصلاً لليلى ... وليلى لا تُقر لهم بذاكا

فأما قوله: فمما ينبه عليه: نسبة الحديث الذي ذكر[1] إلى صحيح مسلم.. الخ ما ذكر.

فالجواب: أن يقال: نسبة الحديث إلى مسلم وهم، وليس بأول من وهم، وقد روجع في ذلك، فاعترف بأنه ما سلم من الخطأ ولا عُصم، وقال: إنما نقلت هذا الحديث من المحلى لابن حزم، ولم أنقله من صحيح مسلم، وذلك أن صاحب المحلى قال:[2] ومن طريق مسلم، فذكر حديثاً عن جرير

(١) أي: حديث «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله، لمَ؟، قال: «لا ترآءى ناراهما». وهو حديث صحيح؛ أخرجه أبوداود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦٩٨٢).

قال الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام» (١٢٨٨): «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود»، (٢٣٠٤).

(٢) المحلى، (١١/ ١٩٩).

بن عبدالله، ثم ساق ابن حزم حديثاً آخر عن جرير بن عبدالله، فظننت أن الحديثين كليهما من طريق مسلم، والعصمة إنما هي للرسل، وقد وهم كثير من العلماء بنسبتهم أحاديث، وعزوها إلى كتب، وهي لم تذكر فيها.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[(١)] قوله: سألت جابراً، في رواية عبدالرزاق المذكورة، وكذا في رواية ابن عيينة عن عبدالحميد عند مسلم وأحمد وغيرهما: سألت جابر بن عبدالله وهو يطوف بالبيت، وزادوا أيضاً في آخره: قال: نعم ورب هذا البيت، وفي رواية للنسائي:[(٢)] ورب الكعبة، وعزاها صاحب «العمدة»[(٣)] لمسلم، فوهم. انتهى. والمقصود أن صاحب «العمدة» نسبها لمسلم وهي وهم، وليس هذا ببدع.

والحديث الذي احتج به ابن سحمان قد رواه أبوداود والترمذي والنسائي[(٤)]، وأخرجه ابن ماجه أيضاً[(٥)]، ورجال إسناده ثقات، ولكن

---

(١) (٤/ ٢٧٤)، تعليقاً على حديث محمد بن عباد، قال: سألتُ جابراً ـ رضي الله عنه ـ: أنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة؟ قال: «نعم».

(٢) في الكبرى، برقم (٢٧٦٠).

(٣) أي «عمدة الأحكام» للحافظ عبدالغني المقدسي، برقم (٢١٦) (ط: الشيخ نظر الفريابي)، ولفظ مسلم: «ورب هذا البيت» (أخرجه برقم ١١٤٣/ ١٤٦).

(٤) كما سبق.

(٥) لم يروه ابن ماجه، وإنما تابع الشيخُ الحافظَ ابن حجر في هذا الوهم، حيث عزاه إليه في كتابه «التلخيص الحبير» (٦/ ٢٩٤٧) (ط: أضواء السلف)، وقد نبه محقق الكتاب إلى هذا الوهم.

صحيح البخاري[١] وأبوحاتم[٢] وأبوداود[٣] والترمذي[٤] والدارقطني[٥] إرساله إلى قيس بن أبي حاتم، ورواه الطبراني أيضاً موصولاً[٦]، وهذا الحديث يحتج به أهل العلم قديماً وحديثاً.

وأما قوله في النظم:

والله حرم مكث من هو مسلم — في كل أرض حلها الكفار

ولهم بها حكم الولاية قاهر — ....الخ[٧]

فدليله في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ [النساء: ٩٧] الآية.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم

(١) في «علل الترمذي الكبير»، (٢/ ٦٨٦).

(٢) في «العلل» (برقم ٩٤٢).

(٣) في سننه (٣/ ٢٧٥). (ط: عوامة).

(٤) في سننه (٤/ ١٥٥).

(٥) في «العلل»، (١٣/ ٤٦٤).

(٦) في «المعجم الكبير»، (٢/ ٣٠٢ رقم ٢٢٦٤).

(٧) ديوان ابن سحمان، (١/ ٣٢٠، ط: الرشد).

لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي بترك الهجرة، ﴿ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ أي: لم كنتم ها هنا وتركتم الهجرة؟ ﴿ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧] انتهى.(١)

فانظر حكاية الإجماع على تحريم ذلك، وصاحب النظم يقول:

والله حرم مكثَ من هو مسلم ... في كل أرض حلها الكفار

آخذاً بنص هذه الآية، وبإجماع العلماء كما حكاه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ، فإن كان هذا كذباً على الله وعلى أهل العلم، كما زعمه هذا المعترض، فعلى وجهه العفا والتباب، ولأي شيء لم يطعن على ابن كثير لما جزم بهذا الحكم على من أقام بين ظهراني المشركين، وحكايته للإجماع على ذلك؟! ويقول إنه جزم على الله بغير علم؟ وهل هذا إلا البغي والعدوان والحيف؟ نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه.

وأما قوله: ثم بعد ذلك أتى صاحب القصيدة بطامة كبرى لا يسع

(١) تفسير ابن كثير، (١/ ٥٥٥).

السكوت عليها، ولا يرضى بها مسلم، ابتلي بها عقوبة على تشديده وجسرته على القول على الله بغير علم؛ ليفتضح بها ويبين جهله، عياذًا بالله، فذكر أن محبة الله ومحبة ما يحب، وبغض ما يبغض، وعداوة من عادى، وموالاة من والى، محال أن يتصف بها من أقام في بلدة ولاتها طغاة ... الخ ما قال.

فالجواب عن هذا من وجوه:

الأول: أن هذه المنظومة جواب أبيات أرسلها رجل من أهل الأحساء إلى أخ له في بلد العارض يتعذر فيها لما ناصحه عن الإقامة بين أظهر المشركين، وهو قادر على الهجرة، فزعم في اعتذاره أنه يُظهر دينه، وأنه يحب في الله، ويبغض في الله، ويعادي في الله، وأنه على ما كان عليه أهل التقى والعلم من إظهار الدين، وأنه لم يخالط الكفار، ولم يجالسهم، وهو في ذلك القيل والزعم كاذب بشهادة أخيه عليه أنه ممن يركن إليهم، ولا يرى كفرهم.

الوجه الثاني: أن المعترض حذف أول المنظومة؛ لأنها كاشفة عن مقصود الناظم بالطغاة، وهذا أولها[1]:

علماً بأن النقلَ نقلٌ ثابت ... جاءت به الأخبار والسُفار

---

(١) ديوان ابن سحمان، (١/ ٣١٩-٣٢٠).

والزعم ليس بقيل واشٍ كاذب بل نقلُ عَدْل ليس فيه عُوَار
هذا وقد أمعنتُ فيما قلته نظراً فلم تخدعني الأعذار
بل قد ثنيت أعنةً قد زمها أهل التقى الأخيار والأطهار
ولقد أتى ما صح عنهم أنه إن لم يهاجر منْ لديه يسار
قد قارف الذنب الخطير وإنما مأواه في يوم الجزاء النار
فارجع لربك تائباً متضرعاً واسأله عفواً إنه غفار
واعلم بأن النظم والظلم التي قد شادها الإصرار والآصار
في هذه البلد التي أنتم بها والحكم بالقانون والأوزار
فيها شهير ظاهر لا يختفي إلا على من غرة الغرار
وبها اللواط لدى العساكر والزنا والخمر والتنباك والزمَّار
والرفض عندكموا رخيصٌ سعره إظهاره ما إن له إنكار

فترك المعترض هذا كله تعمية وترويجاً، لينفق باطله وتأويله بتكلفة معنى لم يرده الناظم.

الوجه الثالث: أن قوله: أتى بطامة كبرى لا يسع السكوت عليها، ولا يرضى بها مسلم، قول باطل لا يقوله من يدري ما يقول، ولقد شم هذا الغبي من الجهالة ذراها، وارتقى مرتقى صعباً لينقض من ملة إبراهيم أوثق عراها.
شعراً:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور

ويل أمه! ما أعظم جراءته، وأشد جنايته، حيث نسب من حَمى حِمى الملة الحنيفية التي هي الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، وحض على اعتقادها والتزامها علماً وعملاً إلى الإتيان بطامة كبرى لا يسع أحداً السكوت عليها، ولا يرضى بها مسلم، وهذا والله هو الاجتراء والافتراء.

وفي الحديث: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[1]، بل الطامة الكبرى، والبلية العظمى، والداهية الدهياء، ما هو بصدده من السعي في إطفائها، وتجهيل من أمر بها، ودعا إليها، ثم لم يكتف بذلك حتى أظهر الكذب على كافة المسلمين من عدم الرضا بها، وهذا عين الجهل والاعتداء، وسلوك مهالك الغي والردى، ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٦].

الوجه الرابع: أن قوله ابتلي بها عقوبة على تشديده، وجسرته على القول على الله بغير علم، ليفتضح بها، مما يدل على جهله وكثافة طبعه، حيث جعل القول بإظهار عداوة المشركين وبغضهم، وإظهار محبة المسلمين وموالاتهم،

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٠).

تشديداً وجسرة على القول على الله بغير علم، وأن من أظهر ذلك وحض عليه ودعا إلى العمل به؛ فقد فضح نفسه وبيَّن جهله، وأن هذه عقوبة ابتلي بها، فنُشهد الله وملائكته وجميع خلقه على اعتقاد هذا التشديد، والدعوة إليه، وحض الناس على التزامه علماً وعملاً، على ذلك نحيا وعليه نموت ـ إن شاء الله ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإن كان من يبديه جهراً مشدداً　　　لديكم فإني اليوم عبدٌ مشدِّد

الوجه الخامس: أنه جادل عن رجل لا يعرف شخصه، ولا يدري ما حاله، ولا ثبت عنده البراءة مما زوره وقاله، وهل فوق هذا الحمق من مزيد، وهل يوفق مثل هذا للإصابة والتسديد؟!

الوجه السادس: أنه ما فهم مراد الناظم، وكأن المعترض من الأنباط أو من البربر الذين لا يعرفون مواقع الخطاب، ولا يهتدون إلى مَهْيع الحق والصواب، فإن قوله أمر محال في ولاية من طغى، ليس معناه ما سنح له من الفهم الساقط، والقول القاسط، فإن الكلام مع الأحسائي في إظهار الدين.

وإنما معنى كلام الناظم الذي لا يحتمله سواه، أن من قام بحقيقتها؛ فأحب في الله من أحب الله، وأظهر دينه ووالاه على ذلك، وعادى في الله من كفر بالله، فأظهر عداوته وأبغضه على ذلك، وبادأه بعيب دينه، وأن ما هو عليه من عبادة غير الله؛ من دعاء الصالحين، والالتجاء إليهم في المهمات

والمليات، كفروض العين، فإنهم لا يتركونه ولا يدعونه، بل إما قتلوه، وإما أخرجوه، وإما نالوه بشيء من الأذى.

وإظهار الدين على هذه الصفة محال وجوده في الناس اليوم، خصوصاً من هذا الرجل الأحسائي الذي يزعم أنه يُظهر دينه، فمن زعم أنه بهذه الصفة، وأنه يبادئهم بالعداوة والبغضاء، ويصرح بتكفيرهم والبراءة منهم ومما يعبدون، وأنهم يتركونه ولا يعرضون له، فقد كذب في دعواه، وهذا مكابرة في الحسيات، ومباهتة في الضروريات، ومحال وجود هذا كما ذكره الناظم.

وأما قوله: ولا يخفى أن من انتفت عنه هذه الأوصاف ليس بمسلم.

فيقال: إن كان مرادك محبة القلب وبغضه، ومعاداته وموالاته: فحق، فإن لم يكن في قلبه محبة الدين وأهله، وموالاتهم، وبغض الشرك وأهله ومعاداتهم؛ فليس بمسلم؛ بل ما شم رائحة الإسلام، وصاحب النظم لا يعني بما قاله هذا، فإن الكلام مع الأحسائي في إظهار العداوة والبغضاء.

وإن كان مرادك أن لم يُظهر عداوة المشركين، ويُظهر بغضهم، ويوالي المسلمين، ويُظهر محبتهم ليس بمسلم، فهذا باطل، ولا يقول بهذا إلا الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، وصاحب النظم لا يقول بهذا، ويعلم أن

المسلمين المقيمين بين أظهر المشركين لا يحبون الكفار بقلوبهم؛ بل يعادونهم بقلوبهم، وهو لا يخرجهم بهذه الإقامة من الإسلام، وحاشا وكلا، وإنما يقول: إن إظهار الدين هذا في هذه الأزمان محالٌ وجوده من المقيمين في ولاية الكفار، ومن أظهره فلا بد أن يعادى ويؤذى، أو يُقتل أو يُخرج.

وأما قوله: ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قبل الهجرة كانوا في بلد ولاتها طغاة؛ بل وسائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا كذلك، ولكن كانوا ويُظهرون دينهم ويدعون إلى الله عز وجل، ولا يخافون في الله لومة لائم، ولما صارحوهم بالعداوة والبغضاء وتسفيه أحلامهم، وعيب دينهم، شمروا لهم ولأصحابهم عن ساق العداوة، وعذبوا من عذبوا في الله، وقتلوا من قتلوا؛ حتى هاجر بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ولولا إظهار الدين ما احتاجوا إلى الهجرة إلى الحبشة، فمن أظهر دينه وقدر على ذلك جاز له القعود، ومع ذلك لا بد أن يؤذى كما أوذي الرسل وعودوا، وكذلك أصحابهم، فمن لم يؤذ ويعادَ فدعواه إظهار الدين كذب.

ويل أمه! ما أكثف جهله؟ أيظن أن الرسل وأفاضل الصحابة كانوا لا يُظهرون دينهم؟

وصاحب النظم إنما رد على قوم بين أظهر المشركين، يزعمون أنهم

يُظهرون دينهم، ويحبون في الله، ويبغضون في الله، وهم ممن يركن إلى الدولة، ولا يرون كفرهم وضلالهم، وهم في زعمهم كاذبون غير صادقين، فأخبرهم أن إظهار الدين والحالة هذه محالٌ صدوره منهم، فقول هذا الجاهل الذي أعمى الله بصيرته: ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قبل الهجرة في بلد ولاتها طغاة، ترويج وتلبيس على خفافيش البصائر، وأظن هذا لا يعرف إظهار الدين، ولا ملة إبراهيم، ولا ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قبل الهجرة؛ من إغاظة الكفار، والتعرض لهم بمسبة دينهم، كما كان يفعل ابن مسعود وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، ولكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً.(١)

---

(١) قال ابن إسحاق: «وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: اجتمع يوما أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمَن رجل يُسمعهموه فقال عبدالله بن مسعود: أنا؛ فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله سيمنعني.

قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» رافعا بها صوته: «الرحمن علم القرآن»، قال: ثم استقبلها يقرؤها. فتأملوه، فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به

=

وأما قوله: مع أن قوله: ولاية من طغى يعم كل طغيان، وهو مجاوزة الحد في أدنى شيء، فيشمل ما خالف شيئاً من الشريعة الخ.

فالجواب: أن يقال لهذا المتعمق المتهوك: لو أمعنت النظر في كلام ابن سحمان، أو كنت من أهل النظر والعرفان، لعلمت أن كلامه في غاية الإيضاح والتبيان:

ولكن على تلك القلوب أكنة ... فليست وإن أصغت تجيب المناديا

فإن قوله:

والله حرَّم مُكثَ من هو مسلم ... في كل أرض حلها الكفار

صريح في أنه ما أراد كل الطغيان كما تأولته وحرفته لتموه به على من ليس له معرفة بمواقع الخطاب، الذين هم أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق من الفهم، وهذا من التمويه وسلب الحقائق، فإن كلامه مع صاحب الأحساء، وهو تحت ولاية الدولة العثمانية،

محمد! فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك؛ فقال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً؟ قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون». (سيرة ابن هشام: ١/ ٣١٤-٣١٥). وأخرجه من طريقه: الإمام أحمد في «فضائل الصحابة»، (برقم ١٥٣٥)، قال المحقق: «مرسل، رجاله ثقات».

الذين لا يخفى كفرهم إلا على من لا معرفة لديه[١]، ولا يُعول في الأمور

---

(١) وللشيخ ابن سحمان ـ رحمه الله ـ رسالة مفردة في تكفير دولة الترك في زمنه ـ لا زالت مخطوطة ـ، وللشيخ عبدالله بن عبداللطيف ـ رحمه الله ـ فتوى مماثلة منشورة في «الدرر السنية»، (١٠/ ٤٢٩). قال الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ : «وأما التكفير؛ فأنا أكفر من عرف دين الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفر، وأكثر الأمة ـ ولله الحمد ـ ليسوا كذلك» (الدرر السنية، ١/ ٧٣). ومعلوم ما ارتكبته دولة الترك في أطوارها الأخيرة من محاربة دعوة التوحيد، ومحاولة القضاء عليها، وحمايتها للشرك ومشاهده، بل ارتكاب رؤسائها له. يقول الإمام سعود بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في رسالته إلى والي بغداد «سليمان باشا» ـ بعد أن ذكر له شيئاً من الأمور الشركية والكفرية التي تُرتكب بإذن من دولة الترك ـ: «... وحالكم وحال أئمتكم وسلاطينكم تشهد بكذبكم وافترائكم في ذلك، وقد رأينا لما فتحنا الحجرة الشريفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ عام اثنين وعشرين، رسالة لسلطانكم سليم، أرسلها ابن عمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث به، ويدعوه، ويسأله النصر على الأعداء؛ من النصارى وغيرهم، وفيها مَن الذل والخضوع والعبادة والخشوع، ما يشهد بكذبكم ـ ثم ذكر طرفاً منها وقال ـ: فانظر إلى هذا الشرك العظيم، والكفر بالله الواحد العليم .. فإذا كان هذا حال خاصتكم، فما الظن بفعل عامتكم؟! وقد رأينا من جنس كلام سلطانكم كتباً كثيرة في الحجرة، للعامة والخاصة، فيها من سؤال الحاجات، وتفريج الكربات، ما لا نقدر على ضبطه ...الخ» (الدرر السنية، ١/ ٣٠٤). قلت: فكيف إذا انضاف إلى هذا: تحكيمهم للقوانين الوضعية، ومساواتهم بين المسلمين والكفار ... إلى غير ذلك من الانحرافات؟ مع التنبيه إلى أن الحكم على بلدٍ ما، لا يعني الحكم على جميع أفراده ـ كما هو معلوم عند وصف البلدان بما

=

عليه، أو عامي جاهل لا يعرف حقيقة الإسلام، ولا حقيقة الكفر، وأما الغلو الشنيع والجراءة والمجازفة بالألقاب الشنيعة والتهور في القول والقحة، فمنكم بدت وإليكم تعود، وليس ببدع رمي أهل الباطل أهل الحق بالألقاب الشنيعة والأقوال الفظيعة، فإن العاقبة للمتقين ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، ولا غرو من هذا، فلكل سلف خلف.

وأما قوله: ومعلوم أن من عرف ما يقول، لا يرضى بمثل هذه العبارة لنفسه، **فيقال**: لو أنصفت أيها المتكلم من نفسك لعرفت عورَ ما لفظت به من هَوسِك وحَذْسك، ولندمت ندامة الكُسَعيّ على قوسه، والفرزدق على عُرسه[(١)]، ولعلمت أنك أجدر وأحرى بما لفظ به فمك، وجرى به من الخطأ

تستحقه من أحكام شرعية ـ والله الهادي.

(١) أما الكُسَعي؛ فهو رجل من كُسَع ـ حي من اليمن ـ واسمه محارب بن قيس. وكان من حديثه أنه كان يرعى إبلاً له بوادٍ كثير العشب والخمط، فبصر بِنَبْعةٍ في صخرة؛ فأعجبته، وقال: ينبغي أن تكون هذه قوساً، وجعل يتعهدها، حتى إذا أدركت قطعها وجففها، واتخذ منها قوساً، وأنشأ يقول:

يــــاربِّ وفقنـــي لنحـــت قـــوسي ... فإنهـــا مـــن لـــذتي لنفـــسي
وانفـــع بقـــوسي ولـــدي وعُـــرْسي ... أنحَتهـــا صـــفراء مثـــل الـــوَرْس
صـــلداء ليـــست كالقـــسيِّ الـــنُكسِ

=

ثم عمد إلى ما كان من بُرايتها، فاتخذ منه خمسة أسهم، وجعل يقلبها في كفه ويقول:

هـــــنّ وربي أســــــهمٌ حـــــسانُ تلـــــذُّ للرامــــــي بهــــــا البنـــــانُ

كــــــأنها قِوامهـــــــا ميــــــزان فأبـــــشروا بالخَـــــضْب بـــــا صـــــبيانُ

إن لم يُعقْنــــــــــي الـــــــــشُّؤمُ والحرمـــــــــانُ

ثم خرج حتى أتى قُترةً على موارد حُمرٍ، فكمن فيها، فمر به قطيع منها، فرمى عَيراً بسهم؛ فأمخطه السهم، أي: نفذ فيه وجازه، فأصاب الجبل، فأورى ناراً، فظن أنه أخطأه، وأنشأ يقول:

أعـــوذ بـــالله العزيـــز الـــرحمن مـــن نكـــد الجـــدِّ معـــاً والحرمـــان

مـــالي رأيـــت الـــسهم بـــين الـــصوان يُـــوري شراراً مثـــل لـــون العقيـــان

فـــــأخلف اليـــــوم رجـــــاء الـــــصبيان

ثم مكث على حاله، فجاء قطيع آخر فرمى عَيْراً منها فأمخطه السهم، وصنع صنيع الأول، فأنشأ يقول:

لا بـــارك الـــرحمنُ في رَمْـــي القُـــتَرْ أعـــوذ بالخـــالق مـــن ســـوء القَـــدَرْ

أأمخـــط الـــسهم لإرهـــاق الـــضَرَرْ أم ذاك مـــن ســـوء احتيـــال ونَظَـــرْ

أم لــــيس يُغنــــي حــــذرٌ عنــــد قَــــدَرْ

ثم مكث على حاله، فجاء قطيع آخر، فرمى عَيراً فأمخطه السهم، وصنع صنيع الثاني، فأنشأ يقول:

مـــا بـــالُ ســـهمي يوقـــدُ الحباحِبـــا ولم يـــزل عـــن الرمايـــا ناكبـــا

قـــد كنـــتُ أرجـــو أن يكـــون صـــائبا فأخطـــأ العَـــير وولّى جانبـــا

فـــــصار رأيـــــي فيـــــه رأيـــــاً خائبـــــا

=

ثم مكث مكانه، فجاء قطيع آخر، فرمى عَيراً منه فأخطه السهم، وصنع صنيع الثالث، فأنشأ يقول:

يــا أســفي للــشؤم والجَــدِّ النكــدْ   في قــوس صــدقٍ لم تُــزين بــأَوَدْ
أخلــف مــا أرجــو لأهــل وولــدْ   فيهــا ولم يُغــنِ الحــذار والجَلَــدْ
فخــاب ظــن الأهــل طُــرّاً والوَلَــدْ

ثم مر به قطيع آخر، فرمى منه عَيراً بسهم فأخطه السهمُ، وصنع صنيع الرابع، فأنشأ يقول:

أَبَعــد خمــس قــد حفظــت عَــدَّها   أحمــل قــوسي وأريــد رَدَّهــا
أخــزى الإلــه لينهــا وشــدّها   والله لا تــسلم منــي بعــدها
ولا أرَجِّــي مــا حييــتُ رِفْــدها

ثم عمد إلى قوسه، فضرب بها حَجَراً، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحُمُر حوله مُصَرَّعة، وأسهمه بالدم مُضَرَّجة، فندم على كسر القوس، فعض على إبهامه، فقطعها أسفاً وحسرة، ثم أنشأ يقول:

نَــدمتُ نَدامــةً لــوْ أنَّ نفْــسي   تُطــاوعُني إذاً لقطعــتُ خَمْــسِي
تبــيَّنَ لي سَــفَاهُ الــرأي منــي   لَعَمْــرُ أبيــكَ حــينَ كَــسَرْتُ قَــوْسي

أما الفرزدق؛ فهو الشاعر المشهور؛ طَلَّق زوجته «نوار»، وكان يحبها، فندم على طلاقها، وأنشأ يقول:

نــدمتُ ندامــةَ الكُــسَعيِّ لَمّــا   غــدتْ مِنــي مُطَلَّقَــةً نَــوَارُ
وكانــت جنتــي فخرجــتُ منهــا   كــآدمَ حــين لــجَّ بــه الــضِّرارُ
ولــو ضَــنَّتْ بهــا نفــسي وكفــي   لكــان عــليَّ للقَــدَر اختيــارُ

=

قلمك، ولكن كما قيل: رمتني بدائها وانسلت(١).

وأما قوله: والعجب ممن تلقى هذا بالقبول، وظنه من أهل التحقيق، ولم يعرف معناه؛ بل أعماه عن المعرفة ما يهواه، نعوذ بالله من مضلات الفتن الخ.

فيقال له: بل العجب كل العجب منك حيث عميت عن معرفة الحق والهدى، ووقعت في مهالك العطب والردى، فإن تلقي ملة إبراهيم من مبادات أعداء الله بالعداوة والبغضاء، والتغليظ في ذلك، هو غاية التحقيق، وإن ظنه الأغمار وخفافيش الأبصار عموًا عن المعرفة واتباعاً للهوى، فإن التهور في المقال، والقحة بالقيل والقال، لا تُخرج الحق عن ماهيته، ولا تزيله زخارف القول والضلال، نعوذ بالله من رين الذنوب، وانتكاس القلوب، إذا أظلمت بأهوائها، واستولت عليها الشياطين بإضلالها وإغوائها، انقلبت لديها الحقائق، والتبست عليها المعارف بالشقاشق، وهذا الضرب من الناس،

انظر: «المنتقى من أمثال العرب وقصصهم» لكاتب هذه الأسطر، (ص١٧٩-١٨١)، و«معجم الأمثال» للميداني (٣/ ٤٠١).

(١) مثل عربي يُضرب لمن يُعيّر صاحبه بعيب هو فيه. انظر: «المنتقى من أمثال العرب وقصصهم»، (ص٧٨).

والعياذ بالله، إن أنصفتهم لم يقبل طبعهم الإنصاف، وإن طلبته منهم، فأين الثريا من يد الملتمس، قد انتكست قلوبهم، وعمي عليهم مطلوبهم، رضوا بالأماني، وابتلوا بالحظوظ، وحصلوا على الحرمان، وخاضوا بزعمهم بحار العلم، لكن بالدعاوى الباطلة، وشقاشق الهذيان، ولا والله ما ابتلت من وَشْله أقدامهم، ولا زكت به قلوبهم وأحلامهم، أتعبوا أنفسهم، وحيروا من اقتدى بهم من الناس، فبقوا في حيرة وتشكيك والتباس، وضيعوا الأصول، فحرموا الوصول، وما أحسن ما قال قتادة في مثل هؤلاء: والله ما آسى عليهم، ولكن آسى على من أهلكوا.

وأما قوله: هذا ما اقتضاه ظاهر عبارته، ويمكن تأويلها على غيره، مع بعد وتعسف، الخ.

فيقال له: ظاهر عبارته ظاهر لمن نور الله بصيرته وأصفى سريرته، وأما من أغشته ظلمات الجهل والهوى، وهام في أودية المهالك والردى، فإنه لا يرى الحق على حقيقته، بل يعميه ما يهواه عن سلوك طريقته، ويتكلف ويتعسف لها معنىً غير ما أريدت به، ويُحملها بالدعاوى الكاذبة ما لا تحتمله؛ تلبيساً على العوام، واحتذاءً لطرائق المموهين المشبهين الطغام، ومن وقف على كلامك وسوء مقصدك ومرامك، علم أنك بمهامه الغفلات والجهالات قعيد، وأنك عن الصواب والتحقيق في مكان بعيد، فظاهر عبارته كالشمس في نحر

الظهيرة، لا يخفى على من له معرفة وبصيرة، وما أحسن ما قيل:

العلم للرجل اللبيب زيادة ... ونقيضه للأحمق الطياشِ
مثل النهار يزيد إبصار الورى ... نوراً ويُعمي أعين الخفاشِ

وأما قوله: ثم ذكر من حججه ما ليس له فيه حجة، بل هو عليه، لكن حمله على ذلك مع الجهل التمويه، وقلة علم موافقيه، وعدم نقدهم؛ لأن أكثرهم يحسب أن كل بيضاء شحمة، وكل سوداء تمرة، فذكر قول شعيب عليه السلام، يعني ما توعدوه به من إخراجه ومن معه من أرضهم إن لم يعودوا في ملتهم، فرد عليه السلام أنه لا يجيبهم إلى الكفر وإن فعلوا ما فعلوا، فأي حجة في ذلك؟

فيقال له: الحجة من ذلك أوضح من نار على عَلم، وإن كنتَ ممن اقتُطع دونها واخترم، وهي إظهار الدين، وقدمنا أنك ما تعرف إظهار الدين ما هو، ولا ما أوجب الله على المسلم من مفارقة المشركين ومباينتهم، وإنما إظهار الدين عندك وعند أمثالك: الصلاة والصيام، وأما الرسل وأتباعهم؛ فإظهار الدين عندهم مبادات أعداء الله بالعداوة والبغضاء، والبراءة منهم، فإن شعيباً عليه السلام لما قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وحذرهم من نقص المكاييل والموازين وغير ذلك، مما قص الله في كتابه، فلما بادأهم وصارحهم بما أمره الله به، ونهاهم عما كانوا عليه من

الضلال؛ نصبوا له ولمن آمن معه العداوة، وقالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، أي ملة الكفر، وهذه طريقة الرسل كلهم من نوح عليه السلام إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه، الأمر بعبادة الله، ومبادات قومهم، والتصريح بالعداوة والبغضاء، وعيب دينهم.

ومن تأمل قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما جرى لهم مع قومهم، وما جرى من قومهم عليهم من الأذى والاعتداء، وقتل بعضهم، وإخراج بعضهم، تبين له أن طريقة الرسل: إظهار العداوة والبغضاء، وأنهم لما فعلوا ذلك ولم يوافقوهم، توعدوهم بالإخراج من قريتهم إن لم يعودوا في ملتهم، كما في قصة شعيب عليه السلام.

وكذلك أتباع الرسل إذا أظهروا عداوة المشركين، فلابد من إخراجهم من بلادهم، أو موافقتهم على ما هم عليه، ولو بالسكوت عنهم، فقد وضحت الحجة، ولله الحمد والمنة، ولم يبق فيها لبس إلا على من أعمى الله قلبه، فلا حيلة فيه؛ لعمى بصيرة قلبه، وما أحسن ما قيل:

وقل للعيون الرمد للشمس أعينٌ   سواك تراها في مغيب ومطلع
وسامح نفوساً أطفأ الله نورها   بأهوائها لا تستفيق ولا تسمع

وقوله: بل هو عليه، ولم يذكر المعترض وجه ذلك، فما هو؟! أيظن أن

الرسل لا يُظهرون دينهم، وأنهم لم يبادوهم بالعداوة، فهذا مكابرة للقرآن، وحينئذٍ فالجهل وقلة العلم والتمويه هو أحق به وموافقيه، لا من حمى حمى الملة الحنيفية، والطريقة المحمدية، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]، وقد عرف محصوله وما لديه، ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ – ٢٩].

وقوله: ثم قال: انظر إلى الكهف، ولعله عنى بذلك قصة أصحاب الكهف، ولا حجة له فيه، فإن أصحاب الكهف خافوا من قومهم أن يقتلوهم، أو يكرهوهم .. إلى آخر ما قال.

فالجواب: أن يقال له: وهذا هو قول بن سحمان سواءً بسواءٍ، فإن أصحاب الكهف هاجروا واعتزلوا قومهم، ولجأوا إلى الكهف، ثم بعد ذلك قال بعضهم لبعض: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف: ١٩ – ٢٠]، فعلموا أنه إن اطلع وعلم قومهم

بمكانهم أنه لا بد من أحد أمرين، إما أن يرجموهم أو يعيدوهم في ملتهم، والحجة من ذلك أن من أظهر دينه وعلم الكفار أنه على غير دينهم، وأنه يُكفرهم، فلابد من أحد هذين الأمرين، إلا أن يكون له سلطان فيمتنع.

وأما من أخفى دينه ولا يُظهره، فقد لا يعرضون له بشيء، لعدم إظهار دينه، لكن له نصيب من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء: ٩٧] الآية، فهل بعد هذا الإيضاح من بيان، وهل لمن خفي عليه أدنى تمسك من العرفان؟ ما أقبح تلاعب الشيطان بابن آدم، شعراً:

ألا هل عمٍ في رأيه متأمل ... وهل مدبر بعد الإساءة مقبل
وهل أمة مستيقظون لرشدهم ... فيكشف عنه النسعة المتزمل
فقد طال هذا الغي واستخرج الكرى ... مساويهمُ لو أن ذا الميل يعدل

تالله لقد وضح السبيل للسالكين، وأضاء نور الحق للطالبين، فأي حجة على ابن سحمان في هذه القصة لو كنتَ ممن يعقل ما يقول، أو يدري ما به يصول؟ ولكن الهوى يُعمي ويصم.

وأما قوله: ثم جرى على طريقته من التمويه، بما ليس فيه حجة، فذكر أن القلوب إذا امتلأت إيماناً تغار من رؤية المعاصي، ومن ينكر هذا؟

فيقال له: إن من امتلأ قلبه من الإيمان، وغار من رؤية المعاصي، هاجر وترك أوطان المشركين.

وأما ما ذكرت من التمويه، فهو ما أنت بصدده من السفسطة التي لا تروج إلا على من أعمى الله قلبه، وآثر هواه على هداه، وقولك: من ينكر هذا، فيقال: ينكره من لا يغار من رؤية المعاصي، وسماع الكفر بالله، ويرى أن لا هجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وأنها قد انقطعت، وينكرها من ينكر على من قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»، قيل: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «لا ترآءى ناراهما».(١)

وقال: إن الوسائل والذرائع المفضية إلى مجامعة المشركين ومساكنتهم لا تجوز، وينكرها من يجادل عن أعداء الله، ويقيم لها المعاذير بالشبهات والتمويهات التي لا حقيقة لها عند التحقيق، والاستقامة لمن سلكها على الطريق، ولو ملأ الإيمانُ قلبَ هذا، لما قال يجوز القعود عندهم، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**». **ويقول**: تجوز الإقامة ولا أتبرأ منه.

والله تعالى يقول عن خليله إبراهيم: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾ [الممتحنة: ٤].

---

(١) سبق تخريجه.

ويقول: لا أصرح بكفرهم، ولا أبدي لهم العداوة والبغضاء، ولكن أخفيها في قلبي، ومع ذلك يجهل ويُضلل من قال بها قال الله ورسوله من غير حجة ولا برهان؛ بل بالتكلف والتعسف والهذيان، ولولا سوء القصد، وحمية الجاهلية، لما جادل عن رجل من أهل الأحساء، ونصب نفسه غرضاً للسهام دونه، ولكن تشابهت قلوبهم، وتشامت أرواحهم، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأما قوله: ثم حذر من مقالة من ادعى أنه يُظهر دينه، وجهَّله ووصفه بها ذكر، وهو لم يفسر دعواه، حتى يمكن رد قوله أو قبوله، لكن لجهله يهذي ولا يدري.

فيقال: نعم حذر من مقالة من ادعى أنه يُظهر دينه وهو بين أظهر المشركين بقوله: أنا أصلي، أنا أصوم، وأبغضهم، ولا يمنعنا أحد من الصلاة والصيام والتدريس، ومن كان هذا غاية علمه؛ فحقيق أن يجهَّل، وأن يُحذر من مقالته الكاذبة الخاطئة الضالة، فإن إظهار الدين ليس هو مجرد الصلاة والصيام، ولو كان هذا إظهار الدين؛ لكان عباد عبدالقادر وأحمد البدوي، وعبَّاد علي والحسين وغيرهم، مُظهرون للدين؛ لأنهم كذلك يصلون ويصومون، فهم عند هذا القائل مسلمون؛ لأنهم مظهرون للدين.

سبحانك هذا بهتان عظيم، وليست الخصومة بيننا وبينهم في الصلاة

والصيام، ولكن في صرف خالص حق الله للأولياء والصالحين، والالتجاء إليهم في المهمات والملمات، فإظهار الدين: مباداتهم بأن ما هم عليه من الشرك ودعاء الصالحين كفر وضلال مبين، ولكن هذا المعترض رجل مبتلى، يتمعلم ويتفيقه، وهو أجهل من حمار أهله، فلو تعلم ثم تكلم، لكان خيراً له، وغاية ما عنده أنه قال هذا، وأطلق لسانه بالوقاحة والأذى، وهذه حرفة الفارغين، ومحصل الجاهلين، ومع ذلك يرمي غيره بالجهل وركاكة الألفاظ، وينصب نفسه للحكومة والاعتراض، كما قيل:

تــراه معــداً للخـــلاف كأنـــه ... بـردٍّ عـلى أهـل الـصواب مُوَكـل

وقوله: ثم ذكر أنه يذكر صفة إظهار الدين عن ظاهر القرآن، وأنه جاءت به الآثار، ثم لم يذكر آية ولا أثراً.

فالجواب: أن يقال: إظهار الدين: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ١ – ٢]، إلى آخر السورة، وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ ما ملخصه: فكذلك أنتم أيها المؤمنون

فتبرؤا من أعداء الله من المشركين به، ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده، ويتبرؤا من عبادة ما سواه، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء، وقوله تعالى: ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾[الممتحنة: ٤]، على كفركم بالله وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا مودة حتى تؤمنوا بالله وحده. انتهى.[١]

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ [يونس: ١٠٤] الآية.

وأما الآثار؛ فيكفي من ذلك قول خالد بن الوليد رضي الله عنه لُمجاعة[٢]: «تركتَ اليوم ما كنتَ عليه بالأمس، وكان سكوتك عن هذا الكذاب رضىً بما صنع، فهلا أبديت عذراً فتكلمت فيمن تكلم، فقد تكلم اليشكري، فرد وأنكر، أو كما قال رضي الله عنه[٣]، والمقصود أنه لم يعذره خالد بالسكوت وكراهة القلب دون الكلام والإنكار باللسان، وجعل السكوت رضىً بما يصنع، وهذا بمسمع من الصحابة رضي الله عنهم، ولا

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٦٦-٥٦٧) ط: د. التركي.

(٢) مُجاعة بن مرارة. له ترجمة في «الإصابة»، (٥/ ٧٦٨).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات»، (٥/ ٥٤٩).

يُعلم له مخالف، وقد بلغ أبا بكر وعمر ذلك، فأقراه على ذلك، وهذا هو إظهار الدين كما نبه عليه أهل التحقيق من أهل العلم الذين لهم قدم صدق ودراية، ولا عبرة بمن خالفهم، كما قيل:

وليس كلُ خلاف جاء معتبرًا ... إلا خلافٌ له حظ من النظر

فخذ بقولٍ يكون النص ينصره ... إما عن الله أو عن سيد البشر

وقوله: وإنما درج على طريقة من الإيهام والتلبيس، ولولا عمى الجهل لعرف أن الأحمق مثله، الأليق به أن يستر نفسه بالسكوت؛ فإنه ستر الجاهل ... إلى آخر كلامه.

فيقال له: إن الذي درج على طريقة الإيهام والتلبيس، من يريد أن يُمَشي الحال مع من هب ودرج، وأن يختلط المسلم بالكافر، ولا عار ولا حرج، ويسعى في هدم ملة إبراهيم، من إظهار الحب في الله والموالاة فيه، وإظهار البغض في الله والمعاداة فيه، والبراءة من الشرك وأهله، بالرد على من أشاد دعائمها، وأعلى معالمها، وحمى حماها، بالتكلف والتعسف والتجهيل والتضليل، بغير حجة مستقيمة، ولا ألفاظ قويمة، ولم يذكر آية أو حديثاً أو كلام أحد من العلماء المحققين على ما يدعيه، فالله المستعان، وبه المستغاث وإليه المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقوله: وأن يترك الجزم على الله بغير علم، وأن يبحث عن كلام حملة الشريعة من علماء هذه الأمة حتى يمشي على بصيرة ومعرفة، ويسلم من ضرب النصوص بعضها ببعض، وتحميل كلام الله ورسوله ما لا يحتمله.

فالجواب: أن يقال: هذا هو الواجب على كل مسلم، وصاحب النظم ما جزم على الله ورسوله بغير علم، ولا ضرب النصوص بعضها ببعض، ولا حَمَّل كلام الله ورسوله ما لا يحتمله، ولكنكم قوم بهت، وهذا هو الإيهام والتلبيس والتمويه، وباب الدعاوى عريض، أبعد مما بين عدن إلى بصرى، ولو أعطي الناس بدعواهم؛ لادعى أناس دماء رجال وأموالهم.

وأما قوله: ومن تصدى للجزم على الله ورسوله، وتكلم في القرآن والحديث من غير معرفة بما تكلم به، للمطلق والمقيد، والعام والخاص، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ، فقد سلك من طرق المهالك أعظم طريق، وسد على نفسهَ باب الصواب والتحقيق.

فيقال له: هذا حق، وابن سحمان ما علمناه تصدى للجزم على الله ورسوله، ولا تكلم في القرآن والحديث من غير معرفة بما تكلم به، في أي كتاب وفي أي كلام صدر ذلك عنه؟ وليس هو ممن يدعي العلم، أو يرى نفسه بهذه المنزلة، اللهم إلا أن يكون في المسألة آية محكمة، أو حديث صحيح صريح لا يحتمل التأويل، فأخذ بذلك علماء الإسلام وتكلموا به، فتبعهم في

ذلك، وبلغه عنهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية»[١]، فهل عليه في ذلك مطعن؟ وأنا أظن أنك لا تعرف شيئاً مما تذكر، وتنهى عن الكلام فيه؛ بل قد سمعتَ الناس قالوا ذلك فقلته، ومن أراد تحقيق ما قلناه فلينظر في رسائل الشيخ عبداللطيف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المسائل، فإن فيها ما يكفي اللبيب[٢]، وليدع أقوال هؤلاء الصعافقة الذين تكلفوا أن يتجروا فينا بل أثمان، فإنما هي عند التحقيق ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

وكذلك المواضع التي نقلها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ من السيرة، وتكلم عليها[٣]، إذا تأملها المنصف الخالي من ثوب

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) تُنظر في: «عيون المسائل»، (١/ ٢٢٠-٢٥٢).

(٣) وهي في: «مجموعة التوحيد»، (ص٢١-٢٦)، و «الدرر السنية»، (٨/ ١١١-١١٩).

وأنقل منها: الموضع الثاني، والموضع الخامس؛ لأنهما متعلقان برسالة ابن سحمان ـ رحمه الله ـ؛ وإليهما ألمح. قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ: «**الموضع الثاني**: أنه صلى الله عليه وسلم لما قام يُنذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده، وهو التوحيد، لم يَكرهوا، واستحسنوا، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه، إلى أن صرَّح بسب دينهم، وتجهيل علمائهم، فحينئذٍ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة، وقالوا: سَفَّه أحلامنا، وعاب ديننا، وشتم آلهتنا، ومعلوم أنه

=

صلى الله عليه وسلم لم يشتم عيسى وأمه، ولا الملائكة، ولا الصالحين، لكن لما ذكر أنهم لا يُدعون، ولا ينفعون، ولا يضرون، جعلوا ذلك شتماً. فإذا عرفتَ هذه؛ عرفتَ أن الإنسان لا يستقيم له إسلام، ولو وحَّد الله، وترك الشرك، إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض؛ كما قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية، فإذا فهمتَ هذا فهماً جيداً، عرفتَ أن كثيراً من الذين يَدَّعون الدين، لا يعرفونها؛ وإلا فما الذي حمل المسلمون على الصبر على ذلك، والعذاب، والأسر، والضرب، والهجرة إلى الحبشة؟ مع أنه صلى الله عليه وسلم أرحم الناس، لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم، كيف وقد أنزل الله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠]، فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه، فكيف بغير ذلك؟!

الموضع الخامس: قصة الهجرة؛ وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها، ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها، وهي أن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يهاجر، من غير شك، في الدين، وفي تزيين دين المشركين، ولكن محبة الأهل والمال والوطن، فلما خرجوا إلى بدر، خرجوا مع المشركين كارهين، فقُتل بعضهم بالرمي، والرامي لا يعرفه، فلما سمع الصحابة أن أصبح من القتلى فلان أو فلان، شقَّ عليهم، وقالوا: قتلنا إخواننا؛ فأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٧ – ٩٩]، فمن تأمل قصتهم، وتأمل قول الصحابة: قتلنا إخواننا، إنه لو يبلغ عنه كلامٌ في الدين، أو كلامٌ في تزيين دين المشركين، لم يقولوا: قتلنا إخواننا؛ فإن الله قد بين لهم، وهم قبل الهجرة، أن ذلك كفر بعد الإيمان؛ بقوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦]، وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله فيهم، فإن

التعصب والهوى، تبين له الصواب، ومن يهدي الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

تنبيه: ذكر المعترض فيما تقدم من جوابه على النظم، لما قال الناظم:

والحب والبغض الذي هو ديننا ... وعداوة في الله وهي عيار
وكذا الموالاة التي لجلاله ... إن أمعنت في ذلك الأنظار
أمرٌ محال في ولاية من طغى ... لو كان حقاً ما دهاك قرار

الملائكة تقول: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾، ولم يقولوا: كيف تصديقكم؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، لم يقولوا لهم: كذبتم، مثل ما يقول الله للمجاهد الذي يقول: جاهدتُ في سبيلك حتى قتلت، فيقول الله: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، بل قاتلتَ ليُقال جريء، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق: كذبتَ، بل تعلمتَ ليُقال عالم، وتصدقتَ ليُقال جواد، وأما هؤلاء، فلم يكذبوهم، بل أجابوهم بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، ويزيد ذلك إيضاحاً للعارف والجاهل: الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾، فهذا أوضح جداً أن هؤلاء خرجوا من الوعيد، فلم يبق شبهة، لكن لمن طلب العلم، بخلاف من لم يطلبه، بل قال الله فيهم: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ [البقرة: ١٨]، ومن فهم هذا الموضع، والذي قبله، فهم كلام الحسن البصري، قال: ليس الإيمان بالتحلي، ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠]».

وهذا من جواب الأحسائي لما زعم أنه يُظهر دينه، ويحب في الله، ويبغض في الله، ويعادي في الله، ويوالي في الله.

فقال المعترض في جواب النظم: ثم ذكر أن محبة الله ومحبة ما يحب، وبغض ما يبغض .. إلى آخر ما ذكر، هذا لفظه بحروفه، والناظم إنما قال: الحب في الله والبغض في الله، فلا أدري ما أراد هذا المعترض بهذا التحريف، هل كان قصده بتحريف كلام الناظم التلبيس والتمويه، وإشانته بتقويله ما لم يقل؟ أم كان هذا غاية معرفته من فساد التعبير وركاكة اللفظ، كما هو معروف في كلامه لمن تأمله، ويل أمه! أما علم هذا الفدم الغبي أن إظهار دين الله ومحبة ما يحب شرطٌ في كلمة الإخلاص، وأما إظهار الحب في الله والبغض في الله والموالاة فيه والمعاداة فيه؛ فهي من لوازم محبة الله؛ بل هي من أوثق عرى الإيمان، وصاحب هذا التمويه والتحريف والتلبيس الذي هو كالشمس في نحر الظهيرة يرمي صاحب النظم ويبهته بأنه يموه ويلبس، وأن هذا له طريقة يمشي عليها! فالله يجزيه على ذلك بما يستحقه أمثاله من المعتدين المفترين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

قال الشيخ العالم العلامة سليمان بن سحمان في جواب أبيات وردت من الأحساء، يزعم صاحبها أنه يُظهر دينه بالحب في الله والبغض في الله، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان كاذباً في ذلك الزعم، فأجابه على هذه الأبيات فقال:

علماً بأن النقل نقلٌ ثابت	جاءت به الأخبار والسُفار
والزعم ليس بقيل واشٍ كاذب	بل نقلُ عدل ليس فيه عوار
هذا وقد أمعنتُ فيما قلته	نظراً فلم تخدعني الأعذار
بل قد ثنيت أعنةً قد زمها	أهل التقى الأخيار والأطهار
ولقد أتى ما صح عنهم أنه	إن لم يهاجر مَنْ لديه يسار
قد قارف الذنب الكبير وإنما	مأواه في يوم الجزاء النار
فارجع لربك تائباً متضرعاً	واسأله عفواً إنه غفار
واعلم بأن الظلم والظُلَم التي	قد شادها الإصرار والآصار
في هذه البلد التي أنتم به	والحكم بالقانون والأوزار
وبها اللواط لدى العساكر والزنا	والخمر والتنباك والزمار

(١) جاءت في آخر المخطوط، وهي منشورة ضمن ديوان الشيخ ـ كما سبق ـ، (١/ ٣١٩-٣٢١).

والرفض عندكموا رخيصٌ سعره إظهـــاره مـــا إن لـــه إنكـــار
والله حرم مكثَ مـن هـو مـسلم في كـــل أرض حلهـــا الكفـــار
ولهـم بهـا حكـم الولايـة قـاهر فاربـــأ بنفـــسك فالمقـــام شـــنار
وانظر حـديثاً في الـبراءة قـد أتـى نقـــل الثقـــات رواتـــه الأخيـــار
فيـه الـبراءة بالـصراحة قـد أتـت مـــن مـــسلم وكـــذلك الآثـــار
قـد صرحـت فـيمن أقـام ببلـدةٍ مـــستوطناً وولاتهـــا الكفـــار
والمـرء لـيس بمظهـر للـدين بـل للمكـــث في أوطانـــه يختـــار
إلا الذي هـو عـاجزٌ مُسْتَـضْعف فـــالنص جـــاء بعـــذره لا العـــار
والحب والبغض الذي هـو ديننـا وعــــداوةٌ في الله وهــــي عيـــار
وكـــذا المـــوالاة التـــي لجلالـــه إن أمعنـــت في ذلـــك الأنظـــار
أمـرٌ محـال في ولايـة مـن طغـى لـــو كـــان حقـــاً مـــا دهـــاك قـــرار
أو مـا سـمعت بقـيلهم لنبـيهم والمـــؤمنين أولئـــك الفجـــار
فـانظر إلى الأعـراف إذ قـالوا لـه أعنـــي شـــعيباً قومُـــه الأشرار
وانظر إلى ما قال في الكهف الـذي فيـــه البيـــان لمـــن لـــه إبـــصار
أو ما ترى أن القلـوب إذا امتلـت حبـــاً وإيمانـــاً لهـــا أنـــوار
ولهـا بـذلك غـيرة فتغـار مـن رؤيـــا المعـــاصي والـــسعيد يغـــار
واحـذر مقالـة جاهـل إذ غـره مـــن جهلـــه الإعـــراض والغـــرار
إذ قـال نُظهـر ديننـا جهـلاً ولم يـدرِ الفتـى المسكين مـا الإظهـار
فاسمع إذاً إظهاره عن ظاهر القـــ رآن بـــل جـــاءت بـــه الآثـــار

إظهار هذا الدين تصريح لهم ... بالكفر إذ هم معشرٌ كفار
هذا وليس القلب كافٍ بغضه ... والحب منه وما هو المعيار
لكنما المعيار أن تأتي به ... جهراً وتصريحاً لهم إذ جاروا
فاسأل إلهك راغباً متضرعاً ... أن لا يُضلك بالهوى الغرار
واسأله في غسق الليالي والدجى ... أن لا يصدك عن هداك شِرار
وعلى النبي وصحبه والآل ما ... هبَّ النسيم وماضت الأنوار
أزكى الصلاة مع السلام هدية ... ما انهل من مُغْدَوْدِقٍ أمطار

وقال ـ أيضاً ـ الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ في جواب أرسله إلى الشيخ أحمد بن عيسى ـ رحمه الله ـ[1]، وهو إذ ذاك في مكة المشرفة نازلاً لها يسأله: هل للمسلم أن يقيم بدار الكفر وهو لا يقدر على إظهار دينه؟ أم لا يجوز ذلك؟ فإن زعم أن ذلك يجوز، فما صفة إظهار الدين المبيح للإقامة؟

وهذا السؤال يعرض فيه الرد على من أقام بين ظهراني المشركين من غير إظهار للدين، الذي.هو ملة إبراهيم الخليل عليه السلام:[2]

سؤالٌ فهل مفتٍ من القوم ينظم ... جواباً على هذا السؤال ويرقمُ

---

(١) انظر ترجمته في «علماء نجد خلال ثمانية قرون»، (١/ ٤٣٦-٤٥٢)، وقد توفي ـ رحمه الله ـ عام (١٣٢٩هـ).

(٢) وهي منشورة في ديوانه، (٢/ ٩٥-٩٦).

بما شاء من نظم ونثر منضد ... يُبَيِّن ما وجه الدليل ويفهمُ
ولكن بقال الله جل ثناؤه ... وما قاله الزاكي النبي المكرمُ
أهَلْ جائز في الدين أن يمكث الفتى ... بدارٍ بها الكفار حلوا وخيَّمُوا
وأحكامهم تجري على من بسفحها ... وما منهموا من يستهان ويهضمُ
وقد أوجب الله العظيم على الفتى ... يهاجر عن أرضٍ بها الكفر مظلمُ
سوى من له استثنى الإله لضعفه ... وحيلته أو ليس بالسُبل يعلمُ
فبالله ما حكم المقيم بدارهم ... وما صفة الإظهار للدين فيهمُ
أملة إبراهيم حقاً أبن لنا ... بتوضيح معناها الذي هو أقومُ
فهذا محط الرحل إن كنت مقدماً ... ومدحضة الإقدام إن كنت تقدمُ
أم المرء يكفيه الصلاة وصومه ... وإظهاره في الصب أني مسلمُ
وأبغض أهل الكفر لكن أخافهم ... فلست أريهم ما يسيء ويؤلمُ
وليس بشرط أن أصرِّح عندهم ... بتكفيرهم جهراً ولا أتكلمُ
وكيف وأموالي لديهم وعندهم ... معاشي وأوطاني فكيف التقدمُ
إذا لم أوافقهم وربي عالم ... بما ينطوي قلبي عليه ويكتمُ
من الحب للإسلام والدين والهدى ... وبغضي لأهل الكفر والله يعلمُ
فإن كان هذا الحب والبغض كافياً ... ولو لم يصرح بالعداوة فيهموا
فما وجه هذا من كتابٍ وسنةٍ ... أجيبوا على هذا السؤال وافهموا

(تمت بحمد الله)

كتاب الجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية
تأليف الفاضل سليمان بن سحمان رحمه الله وعفا عنه وادخله برحمته امين. بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه نتوكل ولا حول ولا قوة الا بالله
الحمد لله الذي اوضح المحجة للسالكين واقام الحجة على جميع المكلفين احمده سبحانه على ما من به من منع عداوة اعداء الدين واشكره على ما اولاه من قمع من ذب عن المتفضحين باوضار المشركين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اله الاولين والاخرين واشهد ان محمدا عبده ورسوله الصادق الامين صلى الله عليه وعلى اله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين اما بعد فقد وقفت على رسالة بعثها بعض المنتسبين من اهل القصيم على منظومة ابن سحمان فلما تاملت ما فيها من التشاشق والهذيان وما هي بمعزل عن معرفة الصواب والعرفان وقد جعل بها الشبه هذا الغبي بانه قد سقط على الدرة المفقودة فظفر بالضالة المنشودة واستوى على الامل بما لفقه من التمويهات وقصد ولا حاجة لنا الى تتبع سقطاته وسرد حماقاته وسرقاته من دعواه الخبط والتخليط والكذب على الله وركاكة الالفاظ الى غير ذلك من ترهاته وترهات

صورة الورقة الأولى من رسالة «الجيوش الربانية»

في جواب النظم ثم ذكر أن محبة الله ومحبة ما يحب وبغض ما يبغض الى آخر
ما ذكر هذا اللفظة بحروفه والناظم إنما قال الحب في الله والبغض في الله فلا أ
دري ما أراد هذا المعترض بهذا التحريف هل كان قصده بتحريف كلام النا
ظم التلبيس والتمويه وإشاعته بتقويله ما لم يقل أم كان هذا غاية معر
فته من فساد التعبير وركاكة اللفظ كما هو معروف في كلامه لمن تأمله
وبيان أمه أما علم هذا الغبي الغبي أن إظهار دين الله ومحبة ما يحب
شرط في كلمة الإخلاص وأما إظهار الحب في الله والبغض في الله والموالات
فيه والمعادات فيه فهي من لوازم محبة الله بل هو من أوثق عرى الا
يمان وهذا التمويه والتحريف والتلبيس الذي هو كالشمس في نحر الظهيرة
يرمي صاحب النظم ويبهته بأنه يموه ويلبس وإن هذا له طريقة
يمشي عليها فالله يجزيه على ذلك بما يستحقه أمثاله من
المعتدين المفترين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين
تمت ولله الحمد والمنة

صورة الورقة الأخيرة من رسالة «الجيوش الربانية»

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية

رسالة تتضمن: حكم السفر إلى بلاد الكفار
مع توضيح معنى إظهار الدين

تأليف
الشيخ العلامة سليمان بن سحمان
رحمه الله (ت ١٣٤٩هـ)

اعتنى بها
سليمان بن صالح الخراشي

دار الصميعي للنشر والتوزيع

دار الصميعي للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الرياض ص ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المركز الرئيسي : الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم : عنيزة - أمام الجامع الكبير
هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ - تلفاكس ٣٦٢١٧٢٨
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية / جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

ردمك : ٢-٩٠-٨٦٩-٩٩٦٠-٩٧٨

مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦